محمّد كمال ونّاس

البيان المفيد
في علوم القرآن المجيد

دراسة علميّة تبحث في القرآن الكريم نزولا و جمعا و تدوينا وترتيبا و بيانا
لعلومه إجمالا بأسلوب منهجيّ واضح

عنوان الكتاب: البيان المفيد في علوم القرآن المجيد
المؤلّف: محمّد كمال ونّاس
www.kamelouanes.blogspot.com
med.kamel.ouanes@gmail.com
الهاتف: 50770490
النّوع: دراسة إسلاميّة
الطّبعة الأولى 2016
النّاشر: دار الثّقافية للطباعة والنشر والتوزيع
الحيّ السادس عدد 82 المنستير 5000 تونس
thakafia.edition@gmail.com
الهاتف: 95610237/ 21824793

جميع الحقوق محفوظة للمؤلّف

"إِنَّ هـذَا القُرآنَ يَهـدي لِلَّتى هِيَ أَقـوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤمِنينَ الَّذينَ يَعمَلـونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُم أَجرًا كَبيرًا."

(سورة الإسراء:9)

الإهـــــــداء

إلى العقول النيّرة الّتي ترنو إلى الخير والحقّ والعدل.

إلى القلوب الضّارعة إلى الله المتشوّقة إلى كتابه العظيم وسنّة رسوله الكريم.

أهدي كتابي هذا " **البيان المفيد في علوم القرآن المجيد** "

و الله العليّ القدير أســأل أن يجعله منــارة من منارات العلم النّافع والخير العميم على الإنسانيّة جمعـاء.

و الله جلّ وعلا – المتفرّد بذاته العليا وأسمــائه الحسنى وصفاته الفضلى وأفعـــاله العظمى – أسأل أن يجعل القرآن المجيــد ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب غمومنا وهمومنا.

و بالله التّوفيق وعليه الهداية إلى سواء السّبيل.

محبّكم: محمّد كمال ونّاس

تقـــديم

الحمد لله والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

طلب منّي **الأستاذمحمّد كمـــال ونّاس** خرّيج الجــامعة الزّيتونيّة بتونس أن أراجع له هذا البحث الّذي أعدّه للطّباعة وأن أعرّف له به فقرأته، وبعد الإشارة عليه ببعض التّعديلات في المنهج أقول: لا أستطيع في هذه الكلمة أن أحصي مناقب هذا البحــث وأذكر محاسنه، فهذا ما سيكتشفه القاريء بنفسه كلّ "حسب ثقافته" واستيعابه لمعانيه ولكن حسبي أن ألفت نظر القاريء الكريم إلى أنّ المؤلّف قد وفّق في تحقيق ما قصد إليه من إيفاء المحورين الأساسيّين في كتابه بيانا وافيا لخصائص القرآن الكريم وتاريخه وعلوم القرآن وتاريخها بما جعل البحث خلاصة لما صنّفه العلماء بأسلوب علميّ دقيق ومنهج واضح ولغة سهلة بحيث يستفيد منه الخاصّة والعامّة.

فما من شكّ في أنّ القرآن الكريم قد ملك على سلفنا الصّالح مشاعرهم واستأثر بعنايتهم الّتي لم يحظ بمثلها كتاب غيره وأنّهم درسوا كلّ شيء يتعلّق به وربّما كان لزاما علينا -إزاء هذه العناية - أن نكتفي بذلك، وإنّنا إذ نعرف للقدامى فضلهم الكبير ونقول إنّنا عالة عليهم في هذه البحوث فإنّنا ندرك أنّه من العسيرعلى الباحث المعاصر في علوم القرآن أن يرجع إلى الكتب القديمة ليعثر على شيء من مطلبه في تأويل آية أو تحرير فكرة محدّدة لما في جلّ تلك الكتب من روايات مطوّلة السّند

ومكرّرة المعنى ويكثر التّعارض بينها دون أن نجزم حقّا بأنّها وقفت حتما على المراد من كلام الله، لذا يندرج هذا الكتاب **"البيان المفيد في علوم القرآن المجيد"** لصاحبه **الأستاذ محمّد كمال ونّاس** على صغـــر حجمه بالنّسبة لغيره في سياقه يندرج ضمن الكتـــب الّتي يسهل الوصول إلى المراد منها، إذ هو يشـــتمل علـــى فوائد جمّة عزّ إجتماعها في غيره، فهو في مكتـــبة علـــوم القرآن نعـــم العـــون على التعرّف على مباحث علـــم **"علوم القرآن والتّفسير"** الّذي هو مجموعة الوسائل الّتي تعرّف بأحوال القرآن الكريم من حيث نزوله وأداؤه وكتابته وجمعه وترتيبه في المصاحف وبيان خصائصه وأغراضه وتفسير ألفاظه، مباحث صاغها المؤلّف في عرض إمتاز بالسّهولة والإيجاز عاملا على تبسيط هذه العلوم وتقريبها إلى أذهان الرّاغبين في التثقّف بالثّقافة العربيّة القرآنيّة وإن لم يعمد إلى إستقصاء كامل هذه العلوم وإستيعابها.

وإنّي إذ أوصي الأستاذ بالتّعجيل بطبع هذا البحث فلأنّي واثق من أنّه سيلقى بحول الله نجاحا مرموقا وانتشارا واسعا وأنّ قيمته سيعرفها عامّة النّاس وخاصّتهم.

د.حسن مزيّو:أستاذ محاضر في علوم القرآن والتفسير بالمعهد الأعلى للحضارة الإسلاميّة جامعة الزيتونة تونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقـــدّمة الكتـــــــاب

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا."[1] والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم – سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدّين.

أمّا بعد، فإنّ القرآن الكريم هو كلام ربّ العالمين أنزله على نبيّه محمّد لإخراج النّاس من الظّلمات إلى النّور، فهو هدى ونور وشفاء لما في الصّدور، وهو أعظم دستور. **"بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ"**[2] لأنّه يتضمّن:

- عقيدة صحيحة مبنّية على التّوحيد، تصل قلوب العباد بربّ العباد.
- تشريعا شاملا يجمع بين العبادات المقويّة للإرادات، والأخلاق المزكيّة للأنفس والمعاملات المنظّمة للعلاقات البشريّة، والأحكام الأساسيّة لبناء الأمّة...و كلّها ضامنة لنيل مرضاة الله تعالى ورسوله الكريم وبلوغ السّعادة في الدّارين.

و على هــذا التصوّر العام والشّامل لكـتاب الله، لا بدّ من رسـم منهجيّة جليّة فـــي كيفيّة التّعامل معه - إن كنّا شيبا أو شبابا رجالا أو نساء- وتحديد موقفنا منه بوضوح تامّ.

و في تقديري، يجب أن يكون تعاملنا مع القرآن الكريم على أنّه معجزة الله الخالدة الّتي أيّد بها نبيّه المصطفى يقتضي:

---

1 سورة الكهف:1
2 سورة البروج: 21-22

- **أوّلا:** الإيمان به إيمانا جازما بأنّه كلام الله **"الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ"**[1]
- **ثانيا:** تلاوته حقّ التّلاوة **" وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا"**[2]
- **ثالثا:** حفظ ما تيسّر منه **" فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ"**[3]
- **رابعا:** فهمه وتدبّر آياته وسوره. **"أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا"**[4]
- **خامسا:** العلم والعمل بما جاء فيه من عقائد وتشريعات ونظم." **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذين يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**."[5]

وعلى هذا النّحو فهم رسول الله كتاب الله عزّ وجلّ وأفهمه لصحابته الكرام فجعلوه نصب أعينهم وقبلة قلوبهم وواقع حياتهم.و قد سار على نهجهم التّابعون وتابعو التّابعين والعلماء الأجلاّء على مرّ العصور، فاهتّموا بكتاب الله من جميع جوانبه: نزولا وتدوينا وجمعا وترتيلا وحفظا وبيانا وتفسيرا لمحكمه وتأويلا لمتشابهه علما وعملا وتطبيقا...

ثمّ كان أن هجر بعض المسلمين كتـــاب الله وجعلـــوه وراء ظهـــورهم في عصـــور الإنحطاط والجمود خاصّة، وأخذت تعاليمه تتقلّص من المجتمع شيئا فشيئا حتّى لم يبق منه إلاّ آيات تردّد للتبرّك والتغنّي وإستنزال الرّحمات.

وكان هذا درسا أيقظ الكثير من الغيّورين على دينهم، فهبّوا يطلبون الخلاص بالرّجوع إلى كتاب الله وسنّة رسوله وتجديد الدّعوة إلى الله.

إذن، لا غنى للمسلم والمسلمة – وخاصّة في عصرنا الحاضر – عن المعرفة التّامة لكتاب الله وكل ما يتعلّق به من علوم.

1سورة البقرة: 1-2
2سورة المزمّل: 3
3سورة المزمّل: 18
4سورة النساء: 81
5سورة الإسراء: 9

من هنا تنزّلت مبادرة الجمعّية القرآنيّة المحليّة بقـــصيـــبة المـــديوني – ولآية المــنستير – بالجمهورية التونسّية في الدّعوة إلى إجراء دورة علميّة تكوينيّة في علوم القرآن لكلّ راغب في التفقّه في العلوم الشّرعيّة بصفة عامّة وفي علوم القرآن بصفة خاصّة.

ومن هنا كانت الدّواعي لتأليف هذا الكتاب الجامع لمباحث عدّة في علوم القرآن سميناه على بركة الله **" البيان المفيد في علوم القرآن المجيد "**.

أســأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا علما نافعا، وعملا متقبلا، وأن ينفعنا وينفع بنا، إنّه سميع مجيب والله وليّ التّوفيق.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قصيبة المديوني في 28 ربيع الثّاني 1434 هـ الموافق لـ10 مارس 2013م

المؤلّف:محمّد كمال ونّاس

المحور الأوّل

القرآن المجيد: خصائصه وتاريخه

المبحث الأوّل

القرآن الكريـــم وخصائصه

1- تمهيد عـــــــــام

أ- الإسلام عقيدة وشريعة وعلم وعمل

ب- أركان العقيدةالإسلاميّة

ت- منزلة القرآن الكريم بين الكتب السّماويّة وتحقيق الإيمان به

2- تعريف القرآن الكريم

أ- لغـة

ب- إصطلاحا

3- أسماؤه وأوصافه

أ- أشهر أسماء القرآن الكريم

ب- أشهر أوصاف القرآن الكريم

4- أهداف القرآن الكريم وغاياته

5- فضائل القرآن الكريم

6- الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسيّ والحديث النّبويّ

المبحث الأوّل

القرآن الكريـــم

وخصائصه

1. تمهيد عام

أ- الإسلام عقيدة وشريعة وعلم وعمل:

الإســلام هو دين الله الّذي أوصى بتعاليمه في أصوله وشرائعه إلى النّبيء محمّد (عليه الصّلاة والسّلام) وكلّفه بتبليغه للنّاس كافّة ودعوتهم إليه،قال تعالى: **"إِنّ الدّين عِندَ اللّهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الّذين أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ."**[1]

و عن ابن عبــاس أنّه سمــع رســول الله يقول:**" ذاق طعـــم الإيمان مــن رضي بالله ربّــا وبالإســلام ديــنا وبمحمّد (صلّى الله عليه وسلّم) رسولا"**[2].

والإســـلام عقــيدة أوّلا وهـــي الإيمان الكـــامل والتّصديق التّام، دون شك أو ريبة، بجملة من الغيبيات – وهي أصول الدّين الستّة. وتشــمل الإيمان بالله ومــلائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشرّه.

1سورة آل عمران:19
2رواه مسلم في كتاب الإيمان

و الإيمان الحقّ هو تصديق بالجنــان (أي القلب) ونطق باللسان وعمل بالأركان (أي الجوارح). فالإيمان الخالص هو نيّة وقول وعمــل،قال سبحانه:**"الّذين آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ."**[1]

والإسلام شريعة ثانيا وهي جملة النّظم والأحكام الّتي شرّعها الله و الّتي تحدّد علاقة الإنسان برّبه وبنفسه وبأخيه الإنسان وبالكون كلّه.

والعقيدة هي الأصل والشّريعة هي الفرع. قال جلّ وعلا **" شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّين مَا وَصّى بِهِ نُوحًا وَالّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدّين وَلا تَتَفَرّقُوا فِيه"**[2].

والإسلام دين علم وهو جملة المعارف والمكتسبات لإدراك حقائق هامّة عن الله والذّات والكون وعن أمور الدّين والدّنيا إجمالا.قال جلّ ذكره:**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الّذي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.**[3]

والإسلام دين عمل وهو السّعــي الــذي يبــذله الإنســان لتــعمير الكــون والإستفــادة مــن نعــم الله.قــال سبحــانه **" وَأَنْ لَيْــسَ لِلْإِنْسَــانِ إِلّا مَا سَعَى وَأَنّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثمّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى"**[4]

ب- أركان العقيدةالإسلاميّة:

أصول الدّين أو أركان الإيمان الّتي يجب الإيمان والتّصديق بها ستّة، ذكرها الله في كتابه العزيز ونصّت عليها السنّة النّبويةالمطهّرة.قال تعالى:**" لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَــنَ بِــاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنّبيينَ".**[5]

1سورة الرعد: 28
2 سورة الشّورئ: 13
3 سورة العلق: 1-5
4 سورة النجم: 39 -41
5سورة البقرة:177

فهـذه الآيـة قـد جمعـت خمسة من أركان الإيمان وهي الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والأنبياء، وبقـي الإيمان بالقدر فقد ذكره الله في قـوله:" **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**"[1].

أمّا نصوص السنّة فهي كثيرة، نكتفي بذكر دليل منها وهو حديث جبريل عليه السّلام وهو العمدة في بيان أصول الإيمان والإسلام والإحسان. وفيـه قـال جبـريـل: **"فـأخبـرني عـن الإيمان"** قـال محـمّدعليـه الصّـلاة والسّـلام:**"أن تؤمـن بـالله و مـلائكتـه وكتبـه ورسلـه واليوم الآخر وتـؤمن بالـقـدر خيـره وشـرّه."**[2]

و إنّ القرآن الكريم هو آخر كتاب ربانيّ يجب التّصديق والعمل به.

فما هي منزلته بين الكتب السّماوية السّابقة له ؟.

ت- منزلة القرآن الكريم بين الكتب السّماويّة وتحقيق الإيمان به:

القرآن الكريم هو أعظم كتب الله المنّزلة وآخرها، لا ينزل بعده كتاب ينسخه، فهو آية الله إلى آخر الدّهر، وهو معجزة الله الخالدة لنبيّه محمّد عليه الصّلاة والسّلام.

و لا يتحقّق الإيمان بالقرآن الكريم إلاّ بأمور أساسيّة وهي:

- **أوّلا:** العلم والتّصديق بأنّه كلام الله لفظا ومعنى، وهو منّزل غير مخلوق.

قال جل ذكره:**" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"**[3]

- **ثانيا:** وجوب تلاوته أحسن تلاوة وتدبّر آياته والعمل بها والدّعوة إلى الله على هداه.

قال سبحانه:**"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"**[4]

---

1 سورة القمر: 49
2رواه مسلم
3سورة الحجر: 9
4 سورة محمّد: 25

- **ثالثا:** الإعتقـــاد فـــي عموم دعـوته وشمول شريعـته الّتي جاء بها لعموم الثّقلين والمنظّمة لدينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم.قال جلّ وعلا: **" وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ "**.[1]
- **رابعا:** العلم والإعتقاد بأنّ القرآن الكريم هو آخر الكتـــب نزولا فهو خاتمها والشّاهدو الحاكم عليها.قـــال تعـــالى:**"الم اللّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ"**[2]

كما ثبت في الصّحيحين عن النّبي أنّه قال:**"مـــا مـــن الأنبياء نبيّ إلاّأعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنّما كان الّذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"**[3].

2. تعريف القرآن الكريم

أ- **لغـــــــــة:**ذهب العلماء والمفسّرون في لفظ القرآن مذهبين:

- **المذهب الأوّل:** إنّ لفظ القرآن ليس مشتقّا، بل هو إسم علم على الكلام الّذي أنزله الله على النّبي محمّدعليه الصّلاة والسّلام مثل إسم التّوراة والإنجيل.
- **المذهب الثّاني:** إنّ لفـظ القـرآن مهموز على وزن فعـــلان ومـشتقّ من: قرأ – يقرأ – قراءة وقرآنا وقرأ بمعنى تـــلا.قال سبحانه:**"وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"**[4]، أوهو مشتقّ من قَرَأَ – يَقْرَأُ – قَرْءًا – وقُرْآنًا بمعنى جمع وضمّ، ومنه قرأ الماء في الحوض أي جمعه.

و القـرآن سمّي قرآنا لأنّه جمع ثمـــرات الكتب السّابقة، قال تعالى:**" إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ"** [5]

---

1 سورة النحل: 89
2سورة آل عمران: 1-4
3رواه الشّيخان
4سورة الأعراف: 204
5سورة القيامة: 16-18

و المذهب الثاني أو الرّأي الثاني أقوى وأرجح الآراء.

ب- إصطلاحا: عرّف **عبد الرّحمان بن خلدون** في كتابه المقدّمة القرآن فقال: " **القرآن هو كلام الله المنزّل على نبيّه المكتوب بين دفّتي المصحف وهو متواتر بين الأمّة.**"[1]

وزاد الأصوليّون والفقهاء وعلماء العربيّة على هذا التّعريف بيانا فأجمعوا وقالوا: **"القرآن الكريم هو كلام الله المعــجز المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواســطة الأمين جبريل عليه السّلام، المكتوب في المصــاحف، المنقــول إلينا بالتّواتر، المتــعبّد بتــلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة النّاس."**

قال سبحانه:" **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**".[2]

3. أسماؤه وأوصافه

أ- أشهر أسماء القرآن الكريم:

قد سمّى الله القرآن الكريم بأسماء كثيرة: منها **" القرآن ": "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ"**[3]و منها **" الكتاب ":" لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"**[4]و منها **"الفرقان":" تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا."**[5]ومنها **" الذكر":" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "**[6] ومنها **"التّنزيل":"وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ".**[7]

وقد غلب من أسمائه **" القرآن "** و**" الكتاب ".**

قال الدّكتور **محمّد عبد الله درّاز** في كتابه **"النّبأ العظيم":"روعي في تسميته" قرآنا " كونه متلوّا بالألسن كما روعي في تسميته "كتــابا" كونه مدوّنا بالأقلام...و فــي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أنّ من حقّه العناية بحفظه في**

---

1 مقدمة إبن خلدون ص 402 مطبعة دار الشّعب
2 سورة الشعراء: 192-195
3 سورة الإسراء: 9
4 سورة الإنبياءَ: 10
5 سورة الفرقان: 1
6 سورة الحجر: 9
7 سورة الشعراء: 192

موضعين لا في موضع واحـــد، أعني أنّه يجب حفظه في الصّدور والسّطور جميعا..."

ب- أشهر أوصاف القرآن الكريم:

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف كثيرة منها **" نـــور":" يَا أَيُّهَا النَّاس قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا "**.[1]

ومنها **"موعظة"** و**"شفاء"** و**"هدى"** و**"رحمة":" يَا أَيُّهَا النَّاس قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ "**.[2]

4. أهداف القرآن الكريم وغاياته

منذ أن خلق الله سبحانه الأرض ومن عليها دارت في خواطر البشريّة وعلى ألسنتهم هذه الأسئلة: من أين جئنا ؟ ولماذا خلقنا ؟ وإلى أين مصيرنا ؟

و مـــا كـــان الله ليخـلق النّـاس عبـثا ولا ليتركهم سدى.قال تعالى **"أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى "**.[3]

و على هذا الأساس بعث الله أنبياء ورسلا مبشّرين ومنذرين يبرهنون للنّاس أنّ الله سبحانه هو خالقهم ورازقهم ويشرحون لهم المراد من خلقهم ويذكّروهم بالمصير الذي سوف ينتهي إليه العالم.

قـــال جـــلّ وعـــلا:**" وَذَكِّـرْ فَإِنّ الـذِّكْرَى تَنْفَـعُ الْمُـؤْمِنِينَ وَمَـا خَلَـقْتُ الْجِـنّ وَالْإِنْـسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِـمُونِ إِنّ اللّهَ هُوَ الرّزّاقُ ذُو الْقُوّةِ الْمَتِينُ "**[4].

لقـــد أرسل الله محمّدا إلى العـــالمين منذ خمسة عشر قرن، في وقت فســـدت فيه العقيدة كعبـــادة الأصنام والكواكب وإتّخاذ الملوك أربابا من دون الله...و تفشّت فيه عادات سيّئة كـــوأد البنات وأكل الميتة والأخذ بالثأر...واضطربت فيه الحياة أخلاقيّا وإقتصاديّا وإجتماعيّا وسياسيّا...

---

1 سورة النساء: 173
2 سورة يونس:57
3 سورة القيامة: 35
4 سورة الذّاريات: 55- 58

وكان المجتمع الإنساني يتطلّع إلى ثورة إصلاحيّة فكان نزول القرآن العظيم نوراو بيّنات من الهدى والفرقان لتحقيق هدفين أساسيّين:

- **الهدف الأوّل:**إبطال العقائد الفاسدة وإبـدالها بعقيدة صحـيحة ثابتة وهي عقيدة التّوحيد الّتي تنبني على الإيمان بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقـضاء والقدر خيره وشرّه.قال جلّ ذكره:**" آمَنَ الرّسول بمَا أُنزلَ إلَيْهِ مِن رّبّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلّ آمَنَ باللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّن رّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير"**.[1]
- **الهدف الثّاني:**إرساء شـريعة عادلة صالحة لكلّ زمـان ومكان تنظّم علاقة الإنـسان بخالقه وبنفسه وبمجتمعه وبالكون كلّه.قال ربّ العزّة: **"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا"**[2].

إذن القرآن الكريم هو كتاب هداية:

- هداية الفرد إلى الإيمان الصّادق والعمل الصّالح...
- وهداية المجتمع إلى الربّانية والإنسانيّة والأخوّة...
- و هداية العالم كلّه إلى الله وإلى صراطه المستقيم...

قال سبحانه: **" ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"**[3].

5. فضائل القرآن الكريم

لقد وردت آيات عديدة في بيان فضائل كـتاب الله، تدعو المؤمـنين إلـى العناية بـه أيّما عناية: تصديقا وتأدّبا وتلاوة وحفظا وتدبّرا وتطبيقا...نـذكر بعضا من هـذه الآيات الكريمة قوله تعالى:**"وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا "**[4]

---

1 سورة البقرة: 285
2 سورة المائدة:3
3 سورة البقرة: 1-2
4 سورة الأنعام: 92

و قــوله سبحــانه:**"قــدْ جَــاءَكُــمْ مــنَ اللَّهِ نُــورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ"**[1]وقـوله جــلّ وعــلا: **"حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"**[2]

وهــذه بعض الأحاديث النّبوية الشّريفة الّتي تـرغّب المــؤمنين وتحــثّ الأمّة جمعاء على تعهّد كتاب الله.

قــال رسول الله صــلّى الله عــليه وسلّم: **" خيـركم من تعلّم القرآن وعلّمه "**[3]وقال أيضا:**" أشراف أمّتي حملة القرآن "**[4]و قال صلوات الله وسلامه عليه:**"من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثــالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف "**[5] وقال عليه الصّلاة والسّلام:**" ما اجتــمع قوم في بــيت مــن بيوت الله يتــلون كتـاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السّكينة وغشيتهم الرّحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده "**[6].

لذا وجب على المسلم والمسلمة وخاصّة الدّارس لعلوم القرآن أن يتأدّب بآداب القرآن ويتخلّق بخلقه، وأن يكون طلبه للعلم خالصا لوجه الله وأن يعمل بما فيه ليكون حجّة له يوم القيامة لا عليه فقد صحّ في الحديث الشّريف **"القرآن حجّة لك أو عليك"**.

و كما قال **عثمان بن عفّان رضي الله عنه:" لو تطهّرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله"**.ثمّ إنّ **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله يحذّرنا من هجر القرآن فيقول: **"من لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأ القرآن ولم يتدبّر معانيه فقد هجره ومن قرأه وتدبّره ولم يعمل بما فيه فقد هجره"**.وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى: **" وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا"**[7].

---

1 سورة المائدة:15
2 سورة فصّلت: 1-3
3 رواه البخاري
4رواه مسلم
5رواه البخاري
6رواه الترمذي
7 سورة الفرقان: 30

6. الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسيّ والحديث النبويّ

القرآن الكريم هو كلام الله لفظا ومعنى أي أنّه وحي من الله باللفظ والمعنى[1].

أمّا **الحديث القدسيّ** فهو ما يضيفه النّبي إلى الله تعالى ويكون معناه من عند الله ولفظه من الرّسول.

- **مثال للحديث القدسيّ:** عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله قال: **" يقول الله تعالى: " أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منه..."**[2].

و أمّا **الحديث النّبوي** فهو ما نسب إلى النّبي من **قول أو فعل أو تقرير أو صفة،** وهو من عند رسول الله لفظا ومعنى.

- **مثال القول:** ما تحدّث به النّبي في مختلف المناسبات ممّا يتعلّق بالأخلاق وتشريع الأحكام.

كقوله عليه الصّلاة والسّلام: **"إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى..."**[3].

- **مثال الفعل:** ما نقله الصّحابة من أفعال النّبيء في شؤون العبادة وغيرها كأداء الصّلاة وآداب الصّيام ومناسك الحجّ...

فقد ثبت أنّ النّبيء علّم أصحابه كيفية الصّلاة ثمّ قال: **" صلّوا كما رأيتموني أصلّي"**[4].

- **مثال التّقرير:** ما أقرّه الرّسول من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرّضا، أو بإظهار إستحسان وتأييد فقد أقرّ عليه الصّلاة والسّلام لاجتهاد الصّحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة حين قال لهم: **" لا يصلّينّ أحدكم العصر إلاّ في بني قريظة"**.

---

1 أنظر إلى التعريف الكامل للقرآن الكريم في العنصر الأوّل من هذا المبحث
2رواه الشّيخان
3رواه البخاري ومسلم
4رواه البخاري

فقد فهم بعضهم هذا النّهي على حقيقته فأخّرها إلى ما بعد المغرب، وفهمه بعضهم على أنّ المقصود حثّ الصّحابة على الإسراع فصلاّها في وقتها.و بلغ النّبي ما فعل الفريقان فأقرّهما ولم ينكر عليهما.

- **مثال الصّفة:**فقد روي في شمائل وصفات النّبي: من أنّه كان عليه الصّلاة والسّلام دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظٌ ولا غليظ ولا فحّاش ولا عيّاب....

المبحث الثّاني

ظاهرة الوحي

1- إمكانيّة الوحي ووقوعه وحاجة النّاس إليه

2- معنى الوحي وحقيقته

أ- لغة

ب- إصطلاحا

3- كيفيات وحي الله إلى رسله

4- إبتداء نزول الوحي على محمّد صلّى الله عليه وسلّم

5- معرفة أوّل ما نزل من القرآن وآخر ما نزل وفوائده

أ- أوّل ما نزل من القرآن الكريم

ب-آخر ما نزل من القرآن الكريم

ت-فوائد معرفة أوّل وآخر ما نزل من القرآن

المبحث الثّاني

ظاهرة الوحي

1. إمكانية الوحي ووقوعه وحاجة النّاس إليه

القرآن الكريم وحي أوحـــاه الله سبحانه لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وهو معجـزته الخـالدة، ودليل ساطع على صدق نبوّته.

فهل يجب التّسليم بالوحي والمعجزات والنبّوات أم إنكارها ؟

يجب علينا كمسلمين أن نعلم ونقرّ بـأنّ الوحي هو ما أنـــزله الله على أنبيائه، ويشمل أنباء الغيب والشّرائع والحكم والمواعظ. قال سبحانه:" **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** "[1].

ويجب أيضا أن نعلم ونقرّ بالمعجزات ومفردها معجزة وهي الأمر الخارق للعادة الذي يجريه الله على يدي نبيّ مرسل ليقيم به الدّليل القاطع على صدق نبوّته.قال تعالى:" **وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**"[2]

ويجب كذلك أن نعلم ونقرّ بالنّبوات ومفردها نبوّة وهـي الصّلة المتـينة الّـتي تـربط النّبيء بالله لتلقّي الوحي الذي يتضمّن أوامـر الله ونواهيه.و النّـبوة إصطفاء لا اكتساب كما قال العـلماء.قـال جّل وعلا: " **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ**

---

1 سورة النجم: 1-4
2سورة الأعراف:203

وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ"[1].وقال أيضا:**"اللّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النّاس إنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِير"**[2]

فقد أرسل الله أنبياء ورسلا وأنزل عليهم كتبا بعد أن اختارهم واصطفاهم من صفوة خلقه، وأمرهم بإرشاد النّاس وهدايتهم إلى كثير من الحقائق والمعارف التي يعجز العقل البشريّ على إدراكها وخاصّة كلّ ما يتعلّق بعالم الغيب. وإنّ هذه المعارف والحقائق الغيبيّة لا يمكن للإنسان أن يصل إليها عن طريق العقل وإنّما يتعلّمها عن طريق الوحي.

ومن هنا تظهر الضّرورة المتأكّدة لبعثة الرّسل وحاجة البشر إلى الرّسالات السّماوية قال جلّ ذكره:**"وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلّمَ اللّهُ مُوسى تَكْلِيماً رُسُلاً مُبَشّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيما"**[3].

إنّ الوحي حقيقة ثابتة لا ينبغي التعجّب منه لذلك أنكر الله على العقلاء توهّمهم أنّ في الوحي عجبا عجابا فقال سبحانه:**" الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ أَكَانَ لِلنّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النّاس وَبَشّرِ الّذين آمَنُوا أَنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ "**.[4]

و قد أكّد الإمام **محمّد رشيد رضا** في كتابه **"الوحي المحمّدي"** على حاجة النّاس إلى الوحي وخاصة في عصرنا الحاضر فقال:**" إنّ حاجة الأمم قد اشتدّت في عصرنا هذا إلى هداية الوحي الإلاهي حتّى أشدّها إمعانا في عداوته ولجاجا في نكايته وجهلا بحقيقته "**.[5]

فما هي حقيقة الوحي في نظر الدّين ؟ وما معناه ؟.

1سورة آل عمران: 33
2سورة الحج: 75
3سورة النساء:164- 165
4سورة يونس: 1 - 2
5الوحي المحمّدي ص40 المكتب الإسلامي ط9

2. معنى الوحي وحقيقته

أ- لغـــة:أوْحَـــى – يُـوحِي – وَحْـيًا بمعـــنى أوْمَـأ وأشـــار.و الـــوحي هـو الإعـــلام الـــخفيّ والإشارة السّريعة.

ب- إصطـــــلاحا:

عرّف الإمام **محمّد عبده** في كتابه **" رسالة التّوحيد "** الوحي بأنّه **"عرفان يجده الشّخص من نفسه مع اليقين بأنّه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة..."** [1]

و زاد العلـماء بيـانا وتوضيـحا في تعـريف الوحي فقالوا: **"الوحي هو كلام الله تعالى المنزّل على نبيّ من أنبيائه"**أو**"هو إعلام الله تعالى من يصطفيه من عباده ما أراد من هداية بطريقة خفيّة سريعة"**[2]. يقول سبحانه وتعالى:**" إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا"**[3].

3. كيفيات وحي الله إلى رسله

كيف يوحي الله سبحانه إلى أنبيائه ورسله ؟

يقول جلّ وعلا في كتابه العزيز:**"وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ"**[4].

هذه الآية الكريمة تشير إلى ثلاثة أنواع لكيفية الوحي:

- **أوّلا: " إلاّ وحيا "** وقد عُبّر عنه بإلقاء المعنى في القلب أو النّفث في الرُّوع (أي القلب والخَلَدُ والخاطر).و منه الرؤيا الصّالحة في المنام.

1رسالة التّوحيد لمحمّد عبده ص 109 ط 3 دار المعارف بمصر
2كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص 29
3 سورة النساء :163
4 سورة الشورى :51

فعن **عائشة رضي الله عنها** قالت:**"أوّل ما بدئ به صلّى الله عليه وسلّم الرّؤيا الصّالحة في النّوم، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصّبح"**[1].

- **ثانيا:"أو من وراء حجاب"**: وهو أن يسمع كلام الله من حيث لا يراه كما سمع موسى عليه السّلام كلام الله.قال تعالى:" **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا"**[2].

و كما ثبت التكلّم على الأصحّ لرسولنا محمّد ليلة الإسراء والمعراج.

- **ثالثا:"أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنّه عليّ حكيم"**.وهو ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله إلى رسول الله، فيراه متمثّلا بصورة رجل أو غير متمثّل، ويسمع منه أو يعيه بقلبه.

فقد روي عن **عائشة رضي الله عنها**:أنّ الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله فقال:**يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله:" أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليّ، فيفصم عنّي وقد وعيت عنه ما قال،و أحيانا يتمثّل لي الملك رجلا فيكلّمني فأعي ما يقول"**[3]وقد حاول الجاحدون قديما وحديثا إثارة الشُّبَهِ في الوحي عتوًّا وإستكبارا فردّ الله على إفتراءاتهم وكذبهم وتحدّاهم وأكّد على صدق وأمانة أنبيائه ورسله عليهم أفضل الصّلاة والسّلام.

قال سبحانه:" **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ"**[4].

4. إبتداء نزول الوحي على محمّدعليه الصّلاة والسّلام

سبق نزول الوحي على محمّد بعض الإرهاصات (أي الإشارات والدّلائل) الّتي تدلّ على قرب نزول الوحي وتحقّق النبوّة للرّسول الكريم ومنها:الرؤيا الصّادقة في النّوم وحبّه للعزلة والخلوة بغار حراء بمكّة المكرّمة.

و قد أخرج **الإمام البخاري** في صحيحه في باب **" بدء الوحي"** ما يشير إلى إبتداء نزول الوحي على رسولنا الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم، حيث روي بسنده عن **عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها** أنّها قالت: **" أوّل ما**

1متّفق عليه
2 سورة النساء: 164
3 رواه البخاري
4 سورة الأنعام: 34

بديء به رسول الله من الوحي الرّؤيا الصّالحة في النّوم، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصّبح ثمّ حُبِّبَ إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنّثُ فيه اللّيالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّد لذلك، ثمّ يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتّى جاءه الحقّ وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: إقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتّى بلغ منّي الجهد ثمّ أرسلني فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثّالثة ثمّ أرسلني فقال:" اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم.." الآيات، فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده "[1].

5. معرفة أوّل ما نزل من القرآن وآخر ما نزل وفوائده

أ- أوّل ما نزل من القرآن الكريم:

أصحّ الأقوال أنّ أوّل ما نزل هو قوله تعالى:**"اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)"**[2].

وقيل إنّ أوّل ما نزل هو قوله سبحانه:**" يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3)"**[3].

وقيل إنّ أوّل ما نزل هو **سورة الفاتحة** ولعلّ المراد أوّل ما نزل سورة كاملة.

ب- آخر ما نزل من القرآن الكريم:

آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى:**" وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثمّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ "**[4].

هذا هو الصّحيح الرّاجح الّذي إختاره العلماء وعلى رأسهم الإمام **جلال الدّين السّيوطي** في كتابه**" الإتقان في علوم القرآن "** الّذي صرّح قائلا:**"و قد عاش**

---

1 رواه البخاري
2 سورة العلق: **1-5**
3 سورة المدثر: **1-3**
4 سورة البقرة: **281**

النّبيء بعد نزول هذه الآية تسع لـــيال ثمّ مات ليلة الاثنين في الثّلث من ربيع الأوّل..."

و قيل إنّ آخر ما نزل قوله سبحانه: **"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا"**[1]. إلاّ أنّ هذه الآية نزلت على رسول الله بعـــرفة عام حجّة الـــوداع وقد عـــاش محمّدبعـــدها إحدى وثمانين يوما والظّاهر أنّ هذه الآية تدلّ على إكمال الفرائض والأحكام أي آخر ما نزل من الأحكام ولا تدلّ على آخر ما نزل من القرآن.

وقيل إنّ آخر ما نزل **سورة النّصر** ولعلّ المراد هو آخر سورة كاملة نزلت.

ت- فوائد معرفة أوّل وآخر ما نزل من القرآن:

الفوائد الّتي يمكـــن أن نجـــنيها من معرفتنا لأوّل وآخر ما نـــزل من القرآن الكريم عديدة نوجزها فيما يلي:

- **أوّلا:** تمييز النّاسخ من المنسوخ.
- **ثانيا:** إدراك تاريخ وأسرار التّشريع الإسلامي وسيره التّدريجي رفقا بالنّاس.
- **ثالثا:** إظهار مدى توثيق الصّحابة والتّابعين والعلماء لكتاب الله وعنايتهم به.

---

1 سورة المائدة: 3

المبحث الثّالث

تنزيل القرآن الكريم

1-تمهيد

2-تنزّلات القرآن الكريم وكيفيتها

أ- التّنزيل الأوّل

ب-التّنزيل الثّاني

ت-التّنزيل الثّالث

3-أسرار وحكم التّنجيم

أ- الحكمة الأولى

ب-الحكمة الثّانية

ت-الحكمة الثّالثة

ث-الحكمة الرّابعة

ج- الحكمة الخامسة

المبحث الثّالث

تنزيل القرآن الكريم

1. تمهيد

شرّف الله سبحانه الأمّةالإسلاميّة، فأنزل عليها كتابه المعجز وهو **القرآن المجيد** خاتم الكتب السّماويّة ليكون دستورا لحياتها وعلاجا لمشاكلها، وبلسما لعللها وبذلك حمّلها أقدس رسالة.

و كذلك خصّ الله الأمّة بالانتساب إلى أشرف مخلوق وأعظم نبيّ ورسول وهو **محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم** الذي بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة وجاهد في الله حقّ جهاده.

قال الله تعالى مُمتنّا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم:" **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**"[1].

فكيف أنزل الله القرآن العظيم على نبيّه الكريم ؟ وهل أنزل جملة واحدة أم مفرّقا ؟

2. تنزّلات القرآن الكريم وكيفيتها

ذهب العلماء في تنزيل القرآن مذاهب شتى:فمنهم من قال أنّ للقرآن تنزيل واحد، ومنهم من قال تنزيلان وفريق ثالث قال ثلاث تنزيلات...و الرّاجح عند أغلبهم أنّ القرآن له ثلاث تنزيلات:

1سورة التوبة: 129

أ- **التّنزيل الأوّل:** نزوله من الذّات العليّة إلى اللّوح المحفوظ جملة لامفرّقا وبطريقة وفي وقت لا يعلمها إلّا الله.ودليله قول الله تعالى: **"بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ "**[1]

ب- **التّنزيل الثّاني:**نزوله جملة واحدةفي ليلة القدر من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة من السّماء الدّنيا. واستدلّوا على ذلك بقوله سبحانه:" **حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ(3) "**[2].

و اللّيــلة المبــاركة هــي ليــلة القدر من شهر رمضان المعظّم كما جاء في كثير من كتب التّفــاسير.و بقــوله تعــالى:" **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ"**[3]

وعن **ابن عباس** قــال: **" أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدّنيا جملة واحدة ثمّ أنزل نجوما "**[4].

ت- **التّنزيل الثّالث:**نزوله من السّماء الدّنيا إلى الأرض على قلب **محمّد صلّى الله عليه وسلّم**مفرّقا في ثلاث وعشرين سنة على أشهر الرّوايات.

وقد جاء التّصريح بنزوله منجّما في قوله جلّ ذكره:" **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا "**[5].

وقوله سبحانه:**"وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ"**[6]

أمّــا الكتب السّماوية الأخرى كالتّوراة والزّبور والإنجيل فكان نزولها جملة ولم تُنَزّلْ مُتفرّقة.

---

1 سورة البروج:21-22
2 سورة الدخان:1-3
3 سورة القدر: 1-2-3
4رواه الطّبراني
5 سورة الإسراء: 106
6 سورة الشعراء: 192-194

و عن **ابن عباس رضي الله عنهما** قال:" **بعث رسول الله لأربعين سنة، فمكث بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه،ثمّ أمر بالهجرة عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستّين** "[1].

و قد فَصّلَ العلماء المُحققون الحكمة من تنزيل القرآن المجيد جملة واحدة ثمّ تنزيله تنجيماو من بينهم العلاّمة **جلال الدّين السّيوطي** في كتابه المعروف **"الاتقان في علوم القرآن"** حيث قال:" **قيل:السّر في إنزاله جملة إلى السّماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه،و ذلك بإعلام سكّان السّماوات السّبع أنّ هذا آخر الكتب المنزّلة على خاتم الرّسل لأشرف الأمم قد قرّبناه إليهم لينزله عليهم ولولا أنّ الحكمة الإلاهية إقتضت وصوله إليهم منجّما بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزّلة قبله، ولكنّ الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة ثمّ إنزاله مفرّقا، تشريفا للمُنَزّل عليه**".

3. أسرار وحكم التّنجيم

تنزيل القرآن الكريم منجّما له أسرار وحكم إستخلصها العلماء من النّصوص الواردة في ذلك.

و يمكن إجمالها في خمس حكم وهي:

أ- الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد رسول الله

لقد إشتدّ ألم رسول الله لتكذيب قومه له فأمره الله بالصّبر على الأذى،و كلّما إشتدّ عليه الألم كان تنزيل القرآن عليه حسب الظّروف والمناسبات دعماو تسلية له وتثبيتا لقلبه. قال سبحانه آمرا نبيّه الكريم بالصّبر على الأذى"**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا (10) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا(11)** "[2].وقال جلّ ذكره مسليا نبيّه الكريم ومثبّتا لفؤاده :" **وَقَالَ الّذين كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** "[3].

1رواه البخاري
2 سورة المزمل: 10-11
3 سورة الفرقان: 32

كذلك قال سبحانه متعهّدا رسوله عند إشتداد الخصام بينه وبين أعدائه: " **وَكُلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(120) وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ(122)** "[1]

ب- الحكمة الثّانية: التّحدي والإعجاز

كان المشركون والأعداء يبالغون في عتوّهم واستكبارهم وكانوا يسألون رسول الله أسئلة تعجيزيّة كالسّؤال عن السّاعة والرّوح والمحيض والخمر والميسر...

مثل قوله:" **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**"[2].وقوله سبحانه: " **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ** "[3].

و كانوا كذلك يستعجلون العذاب مثل قوله تعالى **"وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ"**[4].

و إذا بالقرآن الكريم يتنزّل على قلب النّبي تبيانا للحقّ كما قال سبحانه وتعالى:" **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"**[5].

كذلك كانوا يعجبون من نزول القرآن منجّما، فتحدّاهم الله سبحانه وبيّن لهم أنّ ذلك أبلغ في الإعجاز وأنّه يستحيل عليهم الإتيان بمثل القرآن ولو بآية من آياته حيث يقول الله جلّ جلاله:" **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)**

---

1 سورة هود: 120-122
2 سورة الأعراف:187
3 سورة النساء: 175
4 سورة الحج: 47
5 سورة الفرقان: 33

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24) "[1].

ومن الإعجاز إنسجام وتناسق آيات السّورة الواحدة مع تباعد نزول مقاطعها كسورة البقرة فبعض آياتها تباعدت عشرسنوات أو أكثر نزولا ومع ذلك تجدها متّسقة منسجمة، بل إنّ الله سبحانه تحدّى الإنس والجنّ مجتمعين على الإتيان بمثل هذا القرآن فقال تعالى:" **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**"[2].

ت- الحكمةالثّالثة: تيسير حفظه وفهمه وتدبّره

نزل القرآن الكريم على أمّة أمّية لا تقرأ ولا تكتب إلاّ نادرا، وما كان لها أن تحفظ القرآن كلّه بيسر لو نزل جملة واحدة، وأن تفهم وتتدبّر معانيه وأحكامه.

قال سبحانه واصفا هذه الأمّة التي بعث فيها رسولا كريما وهو محمّد عليه الصلاة والسلام:" **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** "[3].و عن **عمر بن الخطّاب** رضي الله عنه قال: **"تعلّموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإنّ جريل كان ينزل بالقرآن على النّبي خمسا خمسًا** "[4].

ث- الحكمة الرّابعة: مسايرة الحوادث والتدرّج في التّشريع

كان القرآن يتنزّل منجّما على رسول الله وفق الحوادث والمناسبات والنّوازل الّتي تمرّ بالمسلمين، وبذلك حصل التّدرج في بيان العقيدة الصّحيحة أوّلا – وخاصّة في المرحلة المكيّة – وفي تشريع الأحكام ثانيا – وخاصّة في المرحلة المدنيّة.

لذلك إبتدأ نزول القرآن بتثبيت أركان الإيمان والدّعوة إلى التّوحيد بصفة أخصّ بمكّة المكرّمة، ثمّ أردفها ببيان العبادات فأمر الله سبحانه بالصّلاة قبل الهجرة بمكّة ثمّ ثنّى بالصّوم والزّكاة في السّنة الثّانية للهجرة ثمّ ختم بالحجّ في

---

1 سورة البقرة: 23-24
2 سورة الإسراء: 88
3 سورة الجمعة: 2
4رواه البيهقي

السّنة السّادسة، ثمّ نهى بعد ذلك عن الصّغائر وتــدّرج في تحريم الكبائر ثمّ حــدّد أحكاما وحدودا تنظّم الأســرة والمجتمع والعــلاقات بين الأفراد والجماعات والشّعوب والأمم،و كان نزول هذا الجانب التّشريعي في المدينة المنوّرة خاصّة.

وهذه الحكمة حكمة مسايرة الحوادث والتّدرّج في التّشريع يوضّحها أيّما إيضاح،ما روي عن **عائشة رضي الله عنها** قالت:" **إنّما نزل أوّل ما نزل منه (أي القرآن) سورة من المفصّل فيها ذكــر الجنّة والنّار، حتّى إذا ثاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّل شيء "لا تشربوا الخمر" لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل "لا تزنوا" لقالوا: لا ندع الزّنا أبدا "**[1].

وهــذا مثــال مــن الأمثلة للتّدرج في التّشريع:**تحــريم الخمر**.

لقد حرّم الله سبحانه الخمر على ثلاثـة مراحل:

- **المرحــلة الأولى:** ويبيّنها قوله تعالى:**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون "**[2].
- **المرحــلة الثّانية:** ويوضّحها قوله سبحانه: " **يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حتّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** "[3].
- **المرحــلة الثّالثة:** وكــان تحريم الخــمر فيــها بصفة نهــائيّة وقــطعيّة، حيث قــال الله جلّ ذكــره: **"يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ"**[4].

1أخرجه البخاري
2 سورة البقرة: 219
3 سورة النساء: 43
4 سورة المائدة: 3

وقد جاء في كتاب " **مناهل العرفان في علوم القرآن " للزّرقاني** ما نصّه: **" وتـدرّج الإسلام بهم (أي العرب) في تحريم ما كـان مستأصلا فيهم كـالخمر، تـدرّجا حكيما حقّق الغاية وأنقذهم مـن كابوسها في النّهاية، وكـان الإسلام في انتهاج هذه الخطّة المثلى أبعـد نظرا وأهدى سبـيلا، وأنجح تشريعا، وأنجع سياسة، من تلكم الأمم المتمدّنة المتحضّرة الّتي أفلست في تحريم الخمر على شعوبها أفضع إفلاس،و فشلت أمرّ فشل، وما عهد أمريكا في مهزلة تحريمها الخمر ببعيد ! أليس ذلك إعجازا للإسلام في سياسة الشّعوب وتهذيب الجماعات، بلى والتّاريخ من الشّاهدين."**[1].

ج- الحكمة الخامسة: الدّلالة القاطعة على أنّ القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد

إنّ القـرآن الكريم نزل مفرّقا على رسول الله في ثلاث وعشـرين سنـة على فـترات مـن الزّمن، يقـرأه الإنسان ويتـلوه فيعجب بمحكم نسجه ودقيق سبكه، وتـرابط معـانيه وتنـاسق آيـاته وسوره، فهو دليل قاطع على أنّه كلام الله المعجز.

ويصف الله سبحانه كتابه العزيز بقوله:" **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثمّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِير**".[2]

ولو كان هذا القرآن من كـلام البشر لوجـدوا فيه اخـتلافا كثيـرا كما ذكر الله سبحانه في قـوله:" **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا. "**[3].

وقال **رسول الله** في بيان فضل القرآن الكريم:**"إنّ هذا القرآن مأدبة الله، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إنّ هذا القرآن حبل الله والنّور المبين وشفاء نافع، عصمة لمن تمسّك به، ونجاة لمن اتّبعه، لا يزيغ فيستعتب ولا يعوجّ فيقوّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الردّ، أتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته، كلّ حرف عشر حسنات، أما أنّي لا أقول لكم ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"**[4].

1انظر كتاب التبيان في علوم القرآن للصابوني ص 38
2 سورة هود:1
3 سورة النساء: 82
4ذكره المنذري

المبحث الرّابع

أهمّ ميزات القرآن الكريم

1- تواتر القرآن الكريم وثبوته

2-ترتيب آيات القرآن وسوره

3-نزول القرآن على سبعة أحرف

أ- الوجه الأوّل

ب-الوجه الثّاني

ت-الوجه الثّالث

ث-الوجه الرّابع

ج- الوجه الخامس

ح- الوجه السّادس

خ- الوجه السّابع

المبحث الرّابع

أهمّ ميزات القرآن الكريم

1- تواتر القرآن الكريم وثبوته

كان الرّسول كلّما نزل عليه شيء من القرآن حفظه في صدره ثمّ حفّظه لأصحابه كما أوحي إليه. ثمّ حفظه من بعدهم التّابعون وتابعو التّابعين...

و هكذا تواتر القرآن جملة وتفصيلا جيلا عن جيل، وإنّ تواتره جعله قطعيّ السّند،و كل سند متواتر لا مجال للشكّ فيه. إنّ القرآن الكريم جميعه منقول إلينا بالتّواتر فهو قطعيّ الثّبوت.

قال سبحانه:" **إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ**"[1].و قال تعالى:" **لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**"[2].

ويقول **الإمام السّيوطي**:"**والأمّة كما هي متعبّدة بفهم معاني القرآن وأحكامه، متعبّدة بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصّفة المتلقّاة من الأئمة القرّاء، هي الصّفة المتّصلة بالحضرة النّبوية**"[3].

و بهذا التّواتر الرّائع ثبت القرآن ثبوتا لا مجـال فيه لظنون أو أوهام...فهو كـلام ربّ العـالمين، نـزل بـه الرّوح الأمين على قلب سيّد المرسلين.

قال جلّ ذكره:" **رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3)**"[4]

---

1 سورة الحجر: 9
2 سورة فصلت: 42
3 " نظرات في القرآن " لمحمّد الغزالي ص 29
4 سورة البينة: 2-3

2-ترتيب آيات القرآن وسوره

كان جبريل عليه السّلام يتنزّل بالآيات على رسول الله ويرشده إلى موضعها من السّورة أو الآيات الّتي نزلت من قبل فيأمر الرّسول كتبة الوحي بكتابتها في موضعها ويقول لهم: **"ضعوا الآيات من السّورة الّتي يذكر فيها كذا وكذا، أو ضعوا آية كذا في موضع كذا"**.

و كان جبريل أمين الوحي يعارض رسول الله بالقرآن كلّ عام مرّة في رمضان، وعارضه في العام الأخير من حياته مرّتين تمكينا لتوثيقه عند الصّحابة رضوان الله عليهم وكان ذلك العرض على التّرتيب المعروف الآن – وهو ترتيب مصحف عثمان المتداول في أيدينا.

و قد اصطلح العلماء وأجمعوا على تسمية هذا التّرتيب **بـالتّرتيب التّوقيفي** أي أنّ هذا التّرتيب إنّما كان بأمر من الله ووحي منه.

وقد حصل اليقين من النّقل المتواتر بهذا التّرتيب من تلاوة رسول الله، وممّا أجمع الصّحابة على وضعه هكذا في المصحف. فقد ورد أنّ جبريل عليه السّلام كان ينزل بالآية أو الآيات على النّبيء فيقول له:**" يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تضعها على رأس كذا من سورة كذا "**.وكذلك كان الرّسول يقول للصّحابة:**" ضعوها في موضع كذا "**.

أمّـــا ســـور القـــرآن فهي أقسام أربعة:

أ- **الطّوال:** وهي سبع البقرة وآل عمران والنّساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال.

ب- المِئُون:وهي الّتي تزيد آياتها على مائة آية أو ما يقاربها كالتّوبة ويونس وهود...

ت- المثاني:وهي الّتي تليها في عدد الآيات كالرّعد وإبراهيم والحجر...

ث- المفصّل:وهي الّتي تلي المثاني كالحجرات وق والذّاريات...

و أمّا تعداد السّور فهو مائة وأربع عشـرة سورة (114 سورة) تبتـدئ بالفـاتحة وتختم بالنّاس.و أمّا تعداد الآيات فستة آلاف ومائتا آية(6200 آية).و أطول السّورهي سورة البقرة وآياتها 286 آية.و أطول الآيات هي آية التّداين من سورة البقرة 282.

3-نزول القرآن على سبعة أحرف

لقد كان للعرب لهجات أو لغات شتّى، تـتبع من طبيعة فطرتهم في جرسها وأصـواتها وحروفها،إلاّ أنّ قبيلة قريش الّتي ينـتسب إليها رسول الله تهيّأت لها عوامل جعـلت للهـجتها أو لغتها الصّدارة بين فروع العربيّة الأخرى: من جوار البيت، وسقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام والإشراف على التّجارة.

و لقد أوحى الله القرآن لرسوله محمّدالنّبي الأمّي العربي القرشي على سبعة أحرف.

فعن **ابن عباس** أنّه قال: قال رسول الله:**" أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتّى إنتهى إلى سبعة أحرف "**[1].

و في الحديث الصّحيح قال رسول الله: **" إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسّر منها "**[2].

و عبارة **"الأحرف"** – ومفردها حرف – الواردة في هذين الحديثين وغيرهما لها معان مختلفة حسب آراء العلماء.

- فمنهم من ذهب إلى أنّ المراد بالأحرف السّبـعة:سبع لهجات أو لغـات مـن لغات العـرب.وهـذه اللّغات على الأشهرهـي لغات قـريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن.

قـــال أبو عبيد:**" ليـــس المراد أنّ كلّ كلمة تقرأ على سبع لغـات، بـل اللّغـات السّبع مفرّقة فيـــه، فبعـضه بلغة قريش، وبعـــضه بلغة هـــذيل، وبعـضه بلغة هـــوازن، وبعضـــه بلـغة اليمـــن، وغيرهم،** وقـال: **وبعض اللّغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا "**.[3]

- و ذكـــر بعضهم أنّ المراد بالأحرف السّبعة: أوجـــه سبعة من الأمر والنّهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل.
- و ذهب جمهور من العلماء – وهو الرّأي الأرجح – إلى أنّ المراد بالأحرف السّبعة هو وجوه التّغاير السّبعة الّتي يقع فيها الاختلاف وهي:

---

1 رواه الشّيخان
2متّفق عليه
3 " الاتقان " للسّيوطي – ج 1 ص 47

أ- الوجه الأوّل: إختلاف الأسماء بالإفراد والتّذكير وفروعهما (التّثنية والجمع والتّأنيث)

كقـوله تعـالى:" **وَالَّـذِينَ هُـمْ لِأَمَـانَـاتِهِمْ وَعَـهْدِهِمْ رَاعُـونَ** "[1].

قـرئ **"لِأَمَانَاتِهِمْ"** بـالجـمـع، وقـرئ" **لِأَمَانَتِهِمْ"** بالإفراد.

ب- الوجه الثّاني: الإختلاف في وجوه الإعراب

كقوله تعالى: " **ما هذا بَشَرًا** "[2].قرأ الجمهور بالنّصب **"بَشَرًا"**، على أنّ **"ما"** عاملة عمل **"ليس"** وهي لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن. وقرأ **ابن مسعود** بالرّفع **"بشر"** على لغة بني تميم فإنّهم لا يعملون **"ما"** عمل **"ليس"**.

ت- الوجه الثّالث: الإختلاف في التّصريف

كقوله تعالى:**"اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"**[3].فقد قرئ بالصّاد والسّين في **"الصِّرَاط"**

و كقوله تعالى " **يَعمَلُونَ**" و**"تَعمَلُونَ**" قرئ باليَاء والتَّاء.

ث- الوجه الرّابع: الإختلاف بالتّقديم والتّأخير

كقـــوله سبحانه " **فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ** "[4]. قـرئ بالبـناء للفـــاعل في الأوّل وللمفعول في الثّاني وقرئ بالعكس.

ج- الوجه الخامس: الإختلاف بالإبدال (كإبدال حرف بحرف)

كقوله سبحانه:" **وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا"**[5].قـرئ بالزّاء المعجمة مع ضمّ النّون.و قرئ بالرّاء المهملة مع فتح النّون.

ح- الوجه السّادس: الإختلاف بالزّيادة والنّقص

فالزّيادة كقوله تعالى: **"وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ"**[6].

قُرئ:**"مِن تحتها الأنهار"** بزيادة **"مِنْ"** وهما قراءتان متواترتان. والنّقصـــان كقوله

---

1 سورة المؤمنون: 8
2 سورة يوسف: 31
3 سورة الفاتحة: 1
4 سورة التوبة: 111
5 سورة البقرة: 259
6 سورة التوبة: 100

تعالى: " **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ**"[1]. بدون "**واو**" وقراءة الجمهور: "**وقالوا اتّخذ الله ولدا " بالواو ".**

خ- الوجه السّابع:إختلاف اللّهجات بالتّفخيم والتّرقيق، والفتح والإمالة والإظهار والإدغام، والهمز والتّسهيل، والإشمام... ونحو ذلك

كالإمالة وعدمها في مثل قوله تعالى:" **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**"[2].قرئ بالإمالة "**أتى**"و"**موسى**".و كترقيق الرّاء في قوله تعالى:" **وَكَفَى بربِّكَ بذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبيرًا بَصِيرًا**"[3].و تفخيم اللاّم في "**الطّلاق...**".

و كتسهيل الهمزة في قوله سبحانه:"**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2)**"[4].

و كإشمام الغين ضمّة مع الكسر في قوله تعالى: " **وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**"[5] وهكذا...[6]

---

1 سورة البقرة: 116
2سورة طه: 9
3سورة الاسراء: 17
4 سورة المؤمنون:1
5 سورة هود: 44
6" مباحث في علوم القرآن " لمنّاع القطّان بداية من ص 156

المبحث الخـــامس

لمحة تاريخية عن مراحل جمع القرآن الكريم

1-تمهيـــــد

2-جمع القرآن حفظا وكتابة في عهد النّبيء صلّى الله عليه وسلّم

أ- الطّريقة الأولى

ب-الطّريقة الثّانية

3-جمع القرآن في عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

4-جمع القرآن في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه ونشره في الأمصار

5-المصاحف العثمانيّة في طور التّجويد والتّحسين

المبحث الخامس

لمحة تاريخية عن مراحل جمع القرآن الكريم

1-تمـــهـيد

مرّ جمع القرآن الكريم بمراحل تاريخيّة أساسيّة وهي:

- **أوّلا:** جمع القرآن حفظا وكتابة في عهد النبوّة.
- **ثانيا:** جمع القرآن في عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.
- **ثالثا:** جمعه في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه ونشره في الأمصار.

و نأتي إلى بيان كل مرحلة من هذه المراحل.

2-جمع القرآن حفظا وكتابة في عهد النّبي

لقد جمع القرآن المجيد في عهد النبوّة بطريقتين معا:

أ-الطّريقة الأولى: الجمع في الصّدور أي عن طريق الحفظ والاستظهار:

لقد نزل القرآن على رسول الله فكانت همّته منصرفة إلى حفظه واستظهاره ليحفظه كما نزل عليه، ثمّ يقرأ على الصّحابةعلى مكث ليحفظوه ويستظهروه.ولقد كان النّبي أحرص النّاس على حفظ كتاب الله، فكان يتلو آياته وسوره باللّيل والنّهار تعبّدا في الصّلاة خاصّة، وتدبّرا لمعانيه حتّى تفطّرت قدماه الشّريفتان من كثرة القيام

إمتثالا لأمر الله حيث قال سبحانه:**"يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا"**.[1]

أمّـا الصّحـابة رضوان الله عليهم فقد كانوا يتـسابقون إلى تـلاوة القرآن وحفـظه ومدارسته، ويعلّمونه أزواجهم وأولادهم في بيوتهم. ومن **أشـــهر الحفظة من الصّحابة** كما أورد البخـــاري في صحيحه سبعة من الحفّاظ هم:**عبد الله بن مسعود، وسـالم بن معقل مولى أبي حذيفة ومعـاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السّكن، وأبو الدّرداء**.

وعـن **عبـادة بن الصّامت** قال:**"كان الرّجل إذا هاجر دفعه النّبي إلى رجـل منّا يعلّمـه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ضجّة بتلاوة القرآن حتّى أمرهم رسول الله أن يخفّضوا أصواتهم لئلاّ يتغالطوا"**.

ب- الطّريقة الثّانية: الجمع في السّطور أي عن طريق الكتابة والنّقش

لقد كان لرسول الله **كُتّاب للوحي**، كلّما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته وتدوينه. ومن أشهر كُتّاب الوحي:**الخلفاء الرّاشدون، وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل ومعاوية بن أبي سفيان**...

وكانوا يكتبون القرآن على العُسب (جمع عسيب وهو جريد النّخل) واللّخاف (جمع لخفة وهي الحجارة الرّقيقة) والأكتاف (جمع كتف وهو عظم البعير أو الشّاة)والأقتاب(جمع قُتب وهو الخشب الّذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه) وقطع الأديم (وهو الجلد) والرّقاع (وهو الورق).

و يسمّى هذا الجمع في عهد النّبيء حفظا وكتـابة **"الجـمع الأوّل"**.

3-جمع القرآن في عهد أبي بكر الصّديق رضي الله عنه

إنتقل رسول الله إلى جوار ربّه، بعد أن أدّى الرّسالة وبلّغ الأمانة ونصح الأمّة وجاهد في الله حقّ جهاده. وتولّى الخلافة بعده أبو بكر الصّديق (رضي الله عنه).

---

1 سورة المزمل: 1-4

و في عهده واجه المسلمون خطوبا جسيمة منها حروب الرِّدّة الّتي وقعت بين المسلمين وبين أتباع مسيلمة الكذّاب فكانت معركة اليمامة معركة حامية الوطيس، وقد استشهد فيها كثير من قُرّاء الصّحابة يزيد عددهم السّبعين من كبار الحفّاظ.

وقد هال ذلك المسلمين، وعزّ الأمر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل على أبي بكر الصّديق رضي الله عنه، فوجده في حزن شديد، فأشار عليه بجمع القرآن في مصحف واحد خشية الضّياع بموت الحفّاظ.

و إنّ رواية **البخاري في صحيحه** تزيد بيانا لجمع القرآن في هذا العهد.فعن **زيد بن ثابت**رضي الله عنه أنّه قال: **" أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه، مقتل أهل اليمامة، (أي عقب استشهاد الحفّاظ السّبعين في معركة اليمامة) فإذا عمر جالس عنده، فقال أبو بكر: إنّ عمر جاءني فقال: إنّ القتل قد استحرّ (أي كثر واشتدّ) يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنّي أخشى أن يستمرّ القتل بالقرّاء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير، إنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت: وكيف أفعل ما لم يفعله رسول الله؟ فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل يراجعني في ذلك حتّى شرح الله تعالى صدري للّذي شرح الله صدر عمر، ورأيت في ذلك الّذي رأى.قال زيد: فقال أبو بكر: إنّك رجل شابّ عاقل، لاتتّهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبّع القرآن واجمعه...قال زيد: فوالله لو كلّفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به...فقلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله. فقال أبو بكر: هو والله خير.فلم يزل يراجعني حتّى شرح الله صدري للّذي شرح له صدر أبي بكرو عمر...فتتبّعت القرآن أجمعه من اللّخاف والعسب وصدور الرّجال...فكانت الصّحف عند أبي بكر حتّى توفّاه الله تعالى ثمّ عند عمر حتّى توفّاه الله تعالى، ثمّ عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين "**[1].

وهذا الجمع يسمّى **"الجمع الثّاني"**.

4-جمع القرآن في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه ونشره في الأمصار

إتّسعت الفتوحات الإسلاميّة في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه وتفرّق القرّاء في الأمصارو أخذ أهل كلّ مصر عمّن وفد إليهم قراءته، فكان بينهم إختلاف

1رواه البخاري

في حروف الأداء ووجوه القراءات، حتّى كاد الأمر يصل إلــى النّزاع والشّقاق وكاد بعضهم يُكَفِّرُ بعضا، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فقام خطيبا فقال: **"أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأى عنّي من أهل الأمصار أشدّ فيه اختلافا وأشدّ لحنا، إجتمعوا يا أصحاب محمّد فاكتبوا للنّاس إماما..."**

وروى **الإمــام البخاري** عن أنــس بن مــالك أنّه قال: **"إنّ حــذيفة بــن اليمان، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشّام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة إختلافهم في القراءة. فقال حذيفة لعثمان:"يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب إختلاف اليهود والنّصارى ".**

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلــينا بالصّحف ننسخها في المصاحف ثمّ نــردّها إليك.فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيــد بــن ثــابت، وعبد الله بن الزّبير، وسعيــد بــن العــاص، وعبــد الرّحمان بن الحارث بن هشــام، فنسخوها في المصاحف.و **قال عثمان** للرّهط القرشيين الثّلاثة:**إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نــزل بلسانهم.**ففعلوا حتّى إذا نسخواالمصحف في المصاحف، ردّ عثمان الصّحف إلى حفصة، وأرسل إلى كلّ أفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق.[1]

و بهذا قطع عثمان بن عفّان رضي الله عنه دابر الفتنة، وحسم الخلاف وحصّن القرآن من الزّيادة والتّحريف على مرّ العصور وتعاقب الأزمان.

وقد إختلف العلماء في عدد المصاحف الّتي أرسل بها عثمان رضي الله عنه إلى الآفاق فقد قيل: كان عددها أربعة، وقيل: خمسة أو ستّة أو سبعة وهو الأرجح – والله أعلم –

فعن **ابن أبي داود** أنّه قال:**"سمعت أبا حاتم السّجستاني يقول: كتب سبعة مصــاحف، فأرسل إلى مكّــة، وإلى الشّام، وإلــى اليمن، وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحــبس بالمدينة واحدا".**

و المصاحف الّتي كتبها عثمان رضي الله عنه لا يكاد يوجد منها مصحف اليوم.

1رواه البخاري

وهـذا الجمـع للقرآن الكـريم في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه هو المسمّى **"الجمع الثّالث"** وكـان سنة 25 هجرية.

5-المصاحف العثمانيّة في طور التّجويد والتّحسين

كـانت المصـاحف العثمانيّة خالية من النُّقَطِ والشَّكْلِ في أوّل الأمر معتمدة على السّليقة العربيّة السّليمة الّتي لا تحتاج إلى الإعجام بالنّقط ولا إلى الشّكل بالحركات.

و لمّا تطرّق إلى اللّسـان العربيّ الفسـاد لكثرة الاختلاط أحسّ المسـلمون في خلافة عبد الملك بن مروان سنة 65 هـ بضرورة تحسين كتابة المصحف بالنّقط والشّكل وغيرهما ممّا ساعد على القراءة الصّحيحة.

وقـد تدرّج تحسين رسم المصحف جيلا بعد جيل، فكان الشّكل في الصّدر الأوّل نقطا، فالفتحة نقطة على أوّل الحرف، والضّمة على آخره، والكسرة تحت أوّله.ثمّ كان الفتح شكلة مستطيلة فوق الحرف، والضمّ واو صغرى فوقه، والكسر تحت الحرف.

و مـن أشهر العلماء الّذين أسهموا في هـذا العمل:**أبو أسود الدّؤلي ويحي بن يعمرو نصر بن عاصم اللّيثي...**

و كلّـما إمـتدّ الـزّمان بالنّاس، إزدادت عنايتهم بتيسير الرّسم القرآني فكان:**الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأبو حاتم السّجستاني...**

قـال **الإمـام النّووي** في كـتابه **" التّبيان "** ما نصّه:**" قال العلماء: ويُستحبّ نقط الصّحف وشكله، فإنّه صيانة من اللّحن فيه وتصفية"**

وفي نهاية **القرن الثّالث الهجري**، بلغ الرّسم القرآني ذروته من الجودة والحسن،وأصبح المسلمون يتنافسون في اختيار الخطوط الجميلة، وابتكار العلامات المميّزة.

وقـد ساهم الخطّاطون في تجويد المصاحف وتحسين كتابتها واشتهر منهم **خالد بن أبي الهيّاج** الّذي ظهر في عهد الخليفة الوليد في أواخر القرن الأوّل للهجرة، وهوالّذي خطّ المحراب في المسجد النّبوي بالمدينة المنوّرة.

ويشاء الله أن ينتشر كتابه في الآفاق بوساطة الطّباعة وقد مرّت كذلك بأطوار من التّجويد والتّحسين.

وقد ظهر القرآن مطبوعا للمرّة الأولى في البندقية (إيطاليا) في حدود سنة 1530 م. ثمّ ظهرت طبعة همبورغ (ألمانيا) وطبعة سان بترسبورغ (روسيا)...ثمّ طبعة طهران وتبريز (إيران).

وفي سنة 1923م ظهرت طبعة أنيقة جميلة دقيقة لكتاب الله في القاهرة (مصر) تحت إشراف مشيخة الأزهر...

وهكذا تتابعت الطّبعات للمصحف في مشارق الأرض ومغاربها ولله الحمد والمنّة.

المحور الثّاني

علوم القرآن الكريم وتاريخها

المبحث الأوّل

لمحة تاريخية عن علوم

القرآن الكريم

1- التّعريف بعلوم القرآن

2- نشأة علوم القرآن وتطوّرها في القرن الأوّل للهجرة

3- أشهر المؤلّفين والمؤلّفات في علوم القرآن حسب تعاقبها التّاريخي بداية من القرن الثّاني للهجرة

أ- من أشهر علماء القرن الثاني للهجرة

ب-من أشهر علماء القرن الثالث للهجرة

ت-من أشهر علماء القرن الرّابع للهجرة

ث-من أشهر علماء القرن الخامس للهجرة

ج- من أشهر علماء القرن السّادس للهجرة

ح- من أشهر علماء القرن السّابع للهجرة

خ- من أشهر علماء القرن الثامن للهجرة

د- من أشهر علماء القرن التّاسع للهجرة

ذ- من أشهر علماء القرن العاشر للهجرة

4- أشهر المؤلّفين والمؤلّفات لعلوم القرآن في العصر الحديث

المبحث الأوّل

لمحة تاريخية عن علوم

القرآن الكريم

1- التّعريف بعلوم القرآن

المقصود بعلوم القرآن هو جملة الدّراسات والبحوث المتعلّقة بكتاب الله المجيد، من حيث نزوله وجمعه وتدوينه وترتيبه، ومعرفة أسباب النّزول، والمكيّ منه والمدنيّ ومعرفة النّاسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه...وغير ذلك من الأبحاث التي تتعلّق بالقرآن العظيم.

و قد سمّي هذا العلم **"بأصول التّفسير"** لأنّه يتناول المباحث التي لابدّ للمفسّر من معرفتها للإستناد إليها في تفسير القرآن المجيد.

أمّا الغرض من هذه الدّراسات والبحوث فهو العناية الكاملة بكتاب الله: حفظا وكتابة وترتيلا وفهما وتطبيقا لأحكامه للفوز بالسّعادة في الدّارين.

قال سبحانه في كتابه العزيز:" **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (22)**"[1].

و قال رسول الله في سرد محاسن القرآن وفضائله:"كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، هو حبل الله المتين، وهو الذّكر

---

1 سورة البروج: 21-22

الحكيم، وهو الصّراط المستقيم، وهو الّذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة وهو الّذي لم ينته الجنّ إذ سمعته حتّى قالوا:" إنّا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرّشد فآمنّا به..." من قال به صدق، ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم ".[1]

2-نشأة علوم القرآن وتطوّرها في القرن الأوّل للهجرة

لم تكن الحاجة ماسّة إلى وضع تآليف في علوم القرآن في عهد الرّسول والصّحابة.و قد كان أكثر الصّحابة أمّيين، ولم تكن أدوات الكتابة متيسّرة لديهم، فكان ذلك حائلا دون التّأليف في هذا العلم.

كذلك نهى رسول الله صحابته أن يكتبوا شيئا غير القرآن في أوّل العهد بنزول الوحي خشية أن يختلط القرآن بما ليس منه.

روى مسلم عن أبي سعيد الخذري رضى الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:**" لا تكتبوا عنّي، ومن كتب عنّي غير القرآن فليمحه، وحدّثوا عنّي ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النّار."**

و لقد ظلّت علوم القرآن تروى بالتّلقين والمشافهة على عهد الرّسول ثمّ على عهد الشّيخين أبي بكر وعمر.

و في خلافة عثمان، بدأ إختلاط العرب بالأعاجم، فأمر عثمان بجمع المسلمين على مصحف إمام وأمر بنسخ مصاحف منه ونشرها في الأمصار (كما تبيّن ذلك في المبحث السّابق).و بذلك يمكن القول بأن أمْرَعثمان بنسخ المصاحف يعتبر أساسا لعلم من علوم القرآن وهو**"علم رسم القرآن"** أو **"علم الرّسم العثماني"**

و في عهد عليّ رضى الله عنه الّذي أمر أبا أسود الدّؤلي بوضع قواعد للمحافظة على سلامة اللّغة العربيّة كالتّنقيط. فكان ذلك أساسا لعلم آخر من علوم القرآن وهو **"علم إعراب القرآن"**.

1رواه التّرمذي

و في وسعنا أن نقول: إنّ الممهّدين لعلوم القرآن في القرن الأوّل للهجرة هــم:

- الخلفاء الأربعة وابن عبّاس وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبيّ بن كعب وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزّبير...وهم من الصّحابة.
- سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة مولى ابن عبّاس وطاوس بن كيسان اليماني وعطاء بن رباح...بمكّة.
- زيد بن أسلم وأبو العالية ومحمّد بن كعب القرظي...بالمدينة.
- علقمة بن قيس ومسروق والأسود بن زيد وعامر الشّعبي والحسن البصري...بالعراق وكلّهم من التّابعين.

كلّ هؤلاء يعتبرون من مؤسسي علوم القرآن: كعلم التّفسير وعلــم أسبــاب النّزول وعلم المكيّ والمدنيّ وعلم رسم القرآن وعلم إعراب القرآن وعلم النّاسخ والمنسوخ...و غيرها من العلوم الأخرى التي أوصلها **الزركشي إلى أكثر من 300 علم في كتابه "البرهان في علوم القرآن"**.

3-أشهر المؤلّفين والمؤلّفات في علوم القرآن حسب تعاقبها التّاريخي بداية من القرن الثّاني للهجرة (2 هـ)

وهو عصــر التّدوين وفيه تمّ تدوين ما يتعلّق بالتّفسير، فقد جمع العلماء ما روي من تفسير القرآن عن رسول الله أو عن الصّحابة أو التّابعين.

كــذلك تّم فيه تدوين الحديث بأبوابه المتنوّعة على يد علماء أجلاّء أمثــال:

- محمّد بن مسلم بن شهاب الزّهري المتوفّى سنة 124 هـ.
- عبد الله بن أبي بكر بن حزم المتوفّى سنة 135 هـ.
- ابن اسحاق بمكّة المتوفّى سنة 151 هـ.
- سفيان الثّوري بالكوفة المتوفّى سنة 161 هـ.
- عبد الله بن مبارك بخرسان المتوفّى سنة 181 هـ.
- سفيان بن عيينة بالريّ المتوفّى سنة 198 هـ....و غيرهم.

ثمّ جاء القرن 3 هـ فكان العصر الذّهبي للحديث بظهور أئمة الحديث كالبخاري (المتوفّى سنة 256 هـ) ومسلم (المتوفّى سنة 261 هـ) وابن ماجه (المتوفّى سنة 273 هـ)...و غيرهم.

أ- من أشهر علماء القرن الثّاني للهجرة (2 هـ):

- أبو حنيفة النّعمان الفقيه المتوفّى سنة 150 هـ.
- شعبة بن الحجّاج محدّث البصرة المتوفّى سنة 160 هـ.
- مالك بن أنس تلميذ زيد بن أسلم وصاحب كتاب**"الموطّأ"** المتوفّى بالمدينة سنة 179 هـ.
- وكيع بن الجّراح في التّفسير المتوفّى سنة 197 هـ...

ب- أشهر علماء القرن الثّالث للهجرة (3 هـ):

- محمّد بن إدريس الشّافعي الفقيه صاحب " **الرّسالة** " المتوفّى سنة 204 هـ.
- أبوعبيد القاسم بن سلام المتوفّى سنة 224 هـ وقد ألّف في النّاسخ والمنسوخ والقراءات.
- علي بن المديني شيخ البخاري المتوفّى سنة 234 هـ وقد ألّف في أسباب النّزول.
- أحمد بن حنبل المحدّث والفقيه وصاحب " **المهند** " المتوفّى سنة 241 هـ.

ت- من أشهر علماء القرن الرّابع للهجرة (4 هـ):

- محمّد بن خلف بن المرزبان صاحب " **الحاوي في علوم القرآن** "المتوفّى سنة 309 هـ.
- ابن جرير الطّبري صاحب تفسير **"جامع البيان في تفسير القرآن"** المتوفّى سنة 310 هـ.
- أبـو الحسن الأشعري صاحب **"الإبـانـة في أصـول الديـانة"** و**"مقـالات الإسلاميّين"**و" **المخـتزن في علوم القرآن** " المتوفّى سنة 324 هـ.
- أبـو بكر محمّد بن القاسم الأنبـاري، صاحب " **عجـائب في علوم القرآن** " المتوفّى سنة 328 هـ.

- أبو بكـر السّجستاني ألّف في " **غـريب القــرآن** " والمتوفّى سنة 330هـ.

ث- أشهر علماء القرن الخامس للهجرة (5 هـ):

- أبو بكر الباقلاّني المتوفّى سنة 403 هـ وقد ألف في إعجاز القرآن.
- علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي المتوفّى سنة 430 هـ صاحب " **البرهان في علوم القرآن** " ويعتبره الباحثون أنّه أوّل من دوّن في علوم القرآن.
- أبــو عــمرو الــدّاني المتوفّى سنة 444 هـ وقـد ألف " **التيسير في القراءات السّبع** " و" **المحكم في النّقط** ".
- الماوردي صاحب " **الأحكام السّلطانية** " و" **أمثال القرآن** " المتوفّى سنة 450 هـ.

ج- أشهر علماء القرن السّادس للهجرة (6 هـ):

- أبو قاسم عبد الرّحمان المعروف بالسّهيلي المتوفّى سنة 581 هـ وألف **"في مبهمات القرآن"**.
- ابن الجوزي المتوفّى سنة 597 هـ وألف " **فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن** "

ح- أشهر علماء القرن السّابع للهجرة (7 هـ):

- علم الدّين السّخاوي المتوفّى سنة 643 هـ وألف **"في علم القراءات"**.
- العزّ بن عبد السلام المتوفّى سنة 660 هـ وألف **"في مجاز القرآن"**.
- أبو شامة المتوفّى سنة 665 هـ وألف " **المرشد الوجيز فيما يتعلّق بالقرآن العزيز"**.

خ- أشهر علماء القرن الثّامن للهجرة (8 هـ):

- أحمـد تقيّ الدّين بن تيمية المتوفّى سنة 728 هـ وصــاحب **"الفتاوى"**و**"العقيدة الواسـطيّة"** و**"الإيمان"** و**"الاستـقامة"** و**"السيــاسة الشّــرعيّــة في إصــلاح الــرّاعي والرّعية** ".
- محمّد بن قيّم الجوزيّة المتوفّى سنة 751 هـ وصاحب " **أقسام القرآن"** و**"أمثال القرآن"** و" **أعلام الموقعين عن ربّ العالمين** ".

- بـدر الـدّين الزّركشي المتوفّى سنة 794 هـ وصاحب كتاب " **البرهان في علوم القرآن**".

د- من أشهر علماء القرن التّاسع للهجرة (9 هـ):

- جلال الدّين البلقيـني المتوفّى سنة 824 هـ وصاحـب كتاب "**مواقع العلوم من مواقع النّجوم** ".

ذ- من أشهر علماء القرن العاشر للهجرة (10 هـ):

- جلال الدّين السّيوطي المتوفّى سنة 911 هـ وألف " **أسباب النّزول** " و"**التّحبير في علوم التّفسير**" و" **الإتقان في علوم القرآن** " ويعتبر كتابه هذا عمدة في علوم القرآن.

4- أشهر المؤلفين والمؤلفات لعلوم القرآن في العصر الحديث

بعد هذه العصور الذّهبيّة، مرّت على العالم الإسلامي فترة من الرّكود والجمود، قلّت فيها المباحث والدّراسات في شتّى العلوم.

ثمّ جاء عصر النّهضة الحديثة فأقبـل كثير من العلمـــاء على تصنيف الكتب حـــول القرآن المجيد وتاريخه وعلومه وغيرها من العلوم.

و من أشهر المؤلّفين والمؤلّفات الجديدة لعلوم القرآن في العصر الحديث نحصي على سبيل الذّكر لا الحصر:

- "**التّبيان لبعض المباحث المتعلّقة بالقرآن** " للشّيخ طاهر الجزائري.
- " **محاسن التّأويل**" لمحمّد جمال الدّين القاسمي.
- " **مناهل العرفان في علوم القرآن** " للشّيخ محمّد عبد العظيم الزّرقاني، وهو من أشهر الكتب في هذا الباب.
- "**منهج الفرقان في علوم القرآن** " لمحمّد علي سلامة.
- " **الجواهر في تفسير القرآن** " للشّيخ طنطاوي جوهري.
- " **إعجاز القرآن** " لمحمّد الصّادق الرّافعي.
- " **التّصوير الفنّي في القرآن** " و" **ظلال القرآن** " للسيّد قطب.
- " **الظّاهرة القرآنيّة** " لمالك بن نبي.

- **"تفسير القرآن الحكيم "** و**" الوحي المحمّدي "** للإمام محمّد رشيد رضا.
- **" النّبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن "** لمحمّد عبد الله درّاز.
- **" ترجمة القرآن "** للشّيخ مصطفى المراغي.
- **"مسألة ترجمة القرآن "** لمصطفى صبري.
- **"مذكّرة علوم القرآن "** للشّيخ أحمد أحمد علي.
- **" مباحث في علوم القرآن "** للدكتور صبحي الصّالح.
- **" على مائدة القرآن "** لأحمد محمّد جمال.
- **" مباحث في علوم القرآن "** لمنّاع القطّان.
- **" الإعجاز والقراءات "** لفتحي عبد القادر فريد.
- **"نظرات في القرآن "** للشّيخ محمّد الغزالي.
- **" التّبيان في علوم القرآن "** للشّيخ محمّد علي الصّابوني.
- **"علوم القرآن "** لأحمد عادل كمال.
- **" بلاغ الرّسالة القرآنيّة "** لفريد الأنصاري.
- **" من أجل تدبّر القرآن "** لسليمان السنيدي.
- **" تاريخ القرآن "** لأبي عبد الله الزّنجاني.
- **" الهدى والبيان في أسماء القرآن "** للشّيخ صالح البليهي

و القائمة تطول....

المبحث الثّاني

أهمّ علوم القرآن الكريم

1- تمهيـــــــــــــد

2- علم أسباب النّزول

أ- التّعريف به

ب- أمثلة له

ت- عناية العلماء بهذا العلم

ث-فوائد هذا العلم

3- علم المكيّ والمدنيّ

أ- التّعريف به

ب- عناية العلماء بهذا العلم

ت-أنواع هذا العلم وأمثلة لها

ث-فوائد هذا العلم

4- علم القراءات

أ- التّعريف به

ب- عناية العلماء به

ت- أشهر القرّاء وعددهم

ث-أنواع القراءات وضوابطها

ج- فوائد هذا العلم

5- علم الإعجاز القرآني

أ- التّعريف به

ب-عناية العلماء به

ت-وجوه الإعجاز القرآني

ث-لمحة عن فواتح السّور والحكمة منها

ج- فوائد هذا العلم

6- علم النّاسخ والمنسوخ

أ- التّعريف به

ب- تعريف النّسخ لغة وإصطلاحا

ت-عناية العلماء بهذا العلم

ث- أقسام النّسخ وأمثلة لها

ج- أنواع النّسخ في القرآن وأمثلة لها

ح- زمن النّسخ

خ- فوائد هذا العلم

7- علم العامّ والخاصّ

أ- التّعريف به

ب-تعريف العامّ وأمثلة توضيحيّة له

ت-تعريف الخاصّ وأمثلة توضيحيّة له

8- علم المحكم والمتشابه

أ- التّعريف به

ب-تعريف المحكم وأمثلة توضيحيّة له

ت-تعريف المتشابه وأمثلة توضيحيّة له

9- علم الحقيقة والمجاز

أ- تعريف الحقيقة

ب-أمثلة توضيحيّة لها

ت-تعريف المجاز

ث-أمثلة توضيحيّة له

10- علم المطلق والمقيّد

أ- تعريف المطلق

ب-أمثلة توضيحيّة له

ت-تعريف المقيّد

ث-أمثلة توضيحيّة له

11- علم المنطوق والمفهوم

أ- تعريف المنطوق

ب-أمثلة توضيحيّة له

ت-تعريف المفهوم

ث-أمثلة توضيحيّة له

12- للقرآن المجيد علوم أخرى

المبحث الثّاني

أهمّ علوم القرآن الكريم

1- تمـــــهيد

القــرآن الكريم هو المصدر الأوّل والأســاسيّ للعقيدة والتّشريع الإسلامي، وعلـى فهم معانيه ومعرفة أحكامه وتطبيقها تتوقف سعادتنا في الدّنيا والآخرة.

و إنّ علم التّفسير لكتاب الله وهو علم علوم القرآن يقتضينا إلمامة موجزة بكلّ علوم القرآن كعلم أسباب النّزول وعلم المكيّ والمدنيّ وعلم القراءات وعلم النّـاسخ والمنــسوخ وعــلم الرّســم القرآني وعلم المحكم والمتشابه وعلم إعجاز القرآن...و غيرها من العلوم.

2- علم أسباب النّزول

أ- التّعريف به:

علم أسباب النّزول هو معرفة الحادثة أو السّؤال الّذي بسببه نزل ما نزل من القرآن المجيد على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ب- أمثلة له:

- **مثال لحادثة:** روي عن **ابن عبّاس** رضى الله عنه قال: لمّا نزل قوله تعـالى:**"وَأَنذِرْ عَشِيـرَتَكَ الْأَقْرَبِيـنَ"**[1].خـرج النّبـي حـتّى صعـد الصّفا فهتف:**"يـا صباحاه، فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتـكم لو أخبرتكم أنّ خيلا تخرج بسـفح هذا الجبل أكنتم مُصدّقيّ؟ قالوا مـا جرّبنا عليك كذبا، قـال: فـإنّي نذير لكـم بيـن يـدي عذاب شديد.**

---

1 سورة الشعراء: 214

فقال أبو لهب: تبّــا لك، إنّما جمعتنا لهذا ؟ ثــمّ قام. فنزلت هذه السّورة:" تبّت يدا أبي لهب وتبّ..."[1]

- **مثال ثان لحادثة:** عن **عائشة رضى الله عنها** قالت:**تبارك الّذي وسع سمعه كلّ شيء، إنّي لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي ونثرت له بطني، حتّى إذا كبر سنّي وانقطع ولدي ظاهر منّي! اللّهمّ إنّي أشكو إليك، قالت: فما برحت حتّى نزل جبريل بهؤلاء الآيات"قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ "**[2]**(وهو أوس بن الصّامت).**[3]
- **أمّا أسباب النّزول جوابا عن سؤال فمثاله:**ما أخرجه **البخاري** عن إبن مسعود قال: **"كنت أمشي مع النّبي بالمدينة وهو يتوكّأ على عسيب فمرّ بنفر من اليهود فقال بعضهم: لو سألتموه فقالوا: حدّثنا عن الرّوح، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنّه يوحى إليه حتّى صعد الوحي ثمّ قال:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"**[4]
- **مثال ثان لسؤال:** كقوله تعالى:" **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ"**[5] فقد سألوا رسول الله عن الهلال لم يبد دقيقا مثل الخيط ثمّ يزيد قليلا حتّى يمتلئ ثمّ لا يزال ينقص كما بدأ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك.

ت- عناية العلماء بهذا العلم:

1رواه الشّيخان
2 سورة المجادلة:1
3أخرجه ابن ماجه والحاكم وغيرهما
4 سورة الإسراء: 85
5 سورة البقرة:189

إنّ علم أسباب النّزول من العلوم الّتي إعتنى بها العلماء لمّا لمسوا شدّة الحاجة إليه في تفسير القرآن وقد أصبح علما قائما بذاته بعد أن كان يلحق حاشية في كتب التّفاسير.

يقول **الواحدي** (المتوفّى سنة 427 هـ) في كتابه **" أسباب النّزول": " لا يمكن معرفة تفسير آية دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها "**.

وقال **ابن دقيق العيد:" بيان سبب النّزول طريق قويّ في فهم معاني القرآن."**

وقال **ابن تيمية:"معرفة سبب النّزول يعين على فهم الآية فإنّ العلم بالسّبب يورث العلم بالمسبّب "**.

و لمعرفة أهمّية هذا النّوع من علوم القرآن نورد مثالين آخرين للتأكّد من ضرورته لفهم معاني الآيات الكريمة:

- **المثـــال الأوّل:**لـــولا بيان سبـــب النّزول لظلّ النّاس إلى يومنا هذا يبيحون تناول المســـكرات وشرب الخمر أخذا بظاهر قوله تعالى:**" لَيْسَ عَلَى الّذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا"**[1].
- **سبـــب النّزول:** حكي عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معد يكرب أنّهما كانا يقولان: الخمر مباحة، ويحتجّان بهذه الآية وخفي عليهما سبب نزولها.

فقد روي أنّه لمّا نزل تحريم الخمر في قوله تعالى:**" يَا أَيُّهَا الّذين آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"**[2]. قال ناس من أصحاب رسول الله: فكيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا، وكانوا يشربون الخمر وهي رجس ؟فنزلت الآية الكريمة تبيّن أنّ من شربها قبل التّحريم فإنّ الله عفا عنه، وبذلك تفهم الآية ويبقى النّص القطعيّ في تحريم شرب الخمر.[3]

---

1 سورة المائدة: 93
2 سورة المائدة: 90
3 الإتقان ج1 ص 53

- **المثـــال الثّاني:**ولولا بيان أسباب النّزول لأباح النّاس لأنفسهم التّوجه في الصّلاة إلى النّاحية الّتي يرغبون عملا بالمتبادر من قوله تعالى:" **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ".[1]
- **سبــب النّزول:** نزلت هذه الآية الكريمة في حال نفر من المؤمنين صلّوا مع النّبي في ليلة مظلمة فلم يدروا كيف القبلة فصلّى كلّ رجل منهم على حاله.[2]فالآية إذن ليست عامّة إنّما هي خاصّة فيمن جهل القبلة فلم يعرف جهتها.

وهكذا تظهر أهمّية علم أسباب النّزول من علوم القرآن.

ث- فوائد هذا العلم:

يمكن تلخيص هذه الفوائد فيما يلي:

- معرفة سبب النّزول خير سبيل لفهم معاني القرآن وإزالة اللّبْس والإبهام عنها.
- معرفة أسماء من نزلت فيهم الآية أو الآيات ودفع توهّم الحصر فيما ظاهره الحصر.
- بيان الحكمة الّتي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام وإدراك مراعاة الشّرع للمصالح العامّة في علاج الحوادث والاستفسار عن أمور الدّين رحمة بالأمّة.

3- علم المكيّ والمدنيّ

أ- التّعريف به:

علم المكيّ والمدنيّ هو معرفة ما نزل من القرآن على رسول الله في المرحلتين المكيّة والمدنيّة حسب الزّمان والمكان والخطاب.

ب- عناية العلماء بهذا العلم:

إعتنى العلماء عناية فائقة بتحقيق المكيّ والمدنيّ، فتتبّعوا القرآن آية آية وسورة سورة لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزّمان والمكان والخطاب.

---

1 سورة البقرة: 115
2 أسباب النزول للتوحيدي ص23

قال أبو القاسم الحسن النّيسابوري (المتوفى سنة 406 هـ) في كتابه **"التّنبيه على فضل علوم القرآن":"من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكّةإبتداء ووسطا وانتهاء، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثمّ ما نزل بمكّة وحكمه مدنيّ، وما نزل بالمدينة وحـكمه مكيّ".**[1]

ت- أنواع هذا العلم وأمثلة لها:

قسّم العلماء أنواع علم المكيّ والمدنيّ إلى عدّة أقسام وهي:

- ما نزل بمكّة
- ما نزل بالمدينة
- ما اختلف فيه
- الآيات المكيّة في السّور المدنيّة
- الآيات المدنيّة في السّور المكيّة
- ما نزل بمكّة وحكمه المدنيّ
- ما نزل بالمدينة وحكمه مكيّ
- ما يشبه نزول المكيّ في المدنيّ
- ما يشبه نزول المدنيّ في المكيّ
- ما حمل من مكّة إلى المدينة
- ما حمل من المدينة إلى مكّة
- ما نزل ليلا وما نزل نهارا
- ما نزل صيفا وما نزل شتاء
- ما نزل في الحضر وما نزل في السّفر

و من **أمثلة المكيّ**: سورة ابراهيم والحجر والنّحل...

و من **أمثلة المدنيّ**: سورة البقرة وآل عمران والنّساء...

و من **أمثلة المختلف فيه**: سورة الفاتحة والرّعد والرّحمان...

ث- فوائد هذا العلم:

للعلم المكيّ والمدنيّ فوائد أهمّها:

- الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم.
- التّمييز بين النّاسخ والمنسوخ، فالمتأخّر يكون ناسخا للمتقدّم.

---

1 الإتقان ج1 ص12

- تذوّق أساليب القرآن والإستفادة منها في أسلوب الدّعوة إلى الله، فالأسلوب القرآنيّ المكيّ يختلف عن المدنيّ...
- الوقوف على السّيرة النّبوية من خلال الآيات القرآنيّة.

4- علم القراءات

أ- التّعريف به:

علم القراءات هو العلم الّذي يتناول طرق النّطق المتعدّد في القرآن الكريم، والّتي منشؤها إختلاف اللّهجات وكيفيّة النّطق وطرق الأداء.

ملاحظة: القراءات غير الأحرف السّبعة على أصحّ الآراء لأنّ القراءات هي مذاهب الأئمة في طرق النّطق،أمّا الأحرف السّبعة فهي بخلاف ذلك.[1]

قال **أبو شامة المقدسي** (المتوفّى سنة 665 هـ) في كتابه:**"المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالقرآن العزيز":" ظنّ قوم أنّ القراءات السّبع الموجودة الآن هي الّتي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنّما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل "**[2].

ب- عناية العلماء به:

تعدّدت القراءات وهي ثابتة بأسانيدها إلى رسول الله ويرجع عهد القرّاء الّذين أقاموا النّاس على طرائقهم في التّلاوة إلى عهد الصّحابة.

و قد ذكر **الذّهبي** في كتابه **"طبقات القرّاء"** أنّ المشتهرين بإقراء القرآن من الصّحابة سبعة: **عثمان وعليّ وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو الدّرداء وابن مسعود وأبو موسى الأشعري "**.

وقد أخذ عن هؤلاء الصّحابة خلق كثير من التّابعين في كل مصر من الأمصار.

و في عهد التّابعين، إعتنى العلماء بضبط القراءات عناية تامّة، واشتهر منهم ومن الطّبقة الّتي تلي الأئمة القرّاء السّبعة الّذين تنسب إليهم القراءات اليوم.

---

1 أنظر المبحث الرّابع "أهم ميزات القرآن الكريم"
2الإتقان ج 1 ص 133

ت- أشهر القرّاء وعددهم:

القرّاء المشهورون والّذين عرفوا بالضّبط والأمانة إلى يومنا هذا سبعة وهم:

1- **أبو عمرو بن العلاء البصري**: توفي بالكوفة سنة 154 هـ
   - راوياه:- **الدّوري**: توفي سنة 246 هـ و**السّوسي**: توفي سنة 261 هـ
2- **عبد الله بن كثير المكيّ**: توفي بمكّة سنة 120 هـ
   - راوياه:**البزّي**: توفي سنة 250 هـو**قنبل**: توفي سنة 291 هـ
3- **نافع بن عبد الرّحمان المدني**: توفي بالمدينة سنة 169 هـ

و راوياه:**قالون**: توفي بالمدينة سنة 220 هـ و**ورش**: توفي بمصر سنة 197 هـ

4- **عبد الله بن عامر الشّامي**: توفي بدمشق سنة 118 هـ
   - راوياه:**هشام**: توفي سنة 245 هـ و**ابن ذكوان**: توفي سنة 242 هـ
5- **عاصم بن أبي النجود الكوفي**: توفي بالكوفة سنة 128 هـ
   - راوياه:**شعبة**: توفي سنة 193 هـ و **حفص**: توفي سنة 180 هـ
6- **حمزة بن حبيب الكوفي**: توفي بحلوان سنة 156 هـ
   - راوياه:**خلف**: توفي سنة 229 هـ و**خلاد**: توفي سنة 220 هـ
7- **علي بن حمزة الكسائي الكوفي**: توفي برنبوية (الريّ) سنة 189 هـ
   - راوياه:**أبو الحارث**: تـوفي سنة 240 هـ و**حفص الدوري**:فهو الرّاوي عن عاصم وقد سبق ذكره.

ويـزيد بعـض أهل الإختصاص ثلاثة للسّبعة المشاهير وهو ماجعل أهل هذا العلم يضيفون إلى السّبعة ثلاثة تكملة العشرة وهم:

8- **أبو جعفر يزيد المدني**: توفي بالمدينة سنة 128 هـ وقيل 132 هـ
   - راوياه:**ابن وردان**: توفي سنة 160 هـ و**ابن جماز**: توفي سنة 170 هـ
9- **أبو محمّد يعقوب البصري**: توفي بالبصرة سنة 185 هـ وقيل 205 هـ

- راوياه:**رويس**: توفي سنة 238 هـ و**روح**: توفي سنة 234 هـ أو 235 هـ

10- **أبو محمّد خلف البغدادي**: توفي سنة 229 هـ

- راوياه:**إسحاق**: توفي سنة 286 هـ و**إدريس**: توفي سنة 292 هـ

و يزيد بعضهم أربعة قرّاء على العشرة وهم:

11- **الحسن البصري**: توفي سنة 110 هـ

12- **ابن محيصن**: توفي سنة 123 هـ

13- **يحي بن المبارك**: توفي سنة 202 هـ

14- **أبو فرج محمّد الشنبوذي**: توفي سنة 388 هـ

ث- أنواع القراءات وضوابطها:

قسّم العلماء القراءات إلى ستّة أنواع وهي:

- **الأوّل: المتواتر** وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكـــذب وهو الغـالب فـــي القراءات.
- **الثّاني:المشهور** وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التّواتر.
- **الثّالث:الآحاد** وهو ما صحّ سنده وخالف الرّسم أو العربيّة.

مثاله، قوله تعالى:**"لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ.**[1]و روي عن ابن عبّاس أنّه قرأ " **مِّنْ أَنفُسِكُمْ** " بفتح الفاء.

- **الرّابع:الشّاذ** وهو ما لم يصحّ سنده.

مثـــاله: قـراءة قـوله تعالى:**" فَالْيَوْمَ نُنَحّيكَ ببَدَنِكَ"**[2] بالحـاء المهملة.

- **الخامس:الموضوع** وهو ما لا أصل له.

1سورة التوبة: 128
2 سورة يونس: 92

مثاله:قراءة قوله تعالى:"**إنّما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ**"[1]برفع اسم الجلالة ونصب العلماءَ.

❖ **السّادس:المدرج** وهو مازيد في القراءات على وجه التّفسير.

مثــاله: قراءة قوله تعالى: " **وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ**(من أمّ) ".[2]بزيادة لفظ "من أمّ".

ملاحظة هامة: الأنواع الأربعة الأخيرة لا يُقرأ بها لأنّها لا تتوفّر فيها ضوابط القراءة الصّحيحة.

أمّا ضوابط القراءة الصّحيحــة فقـد اجتمعت في ثلاثة أركان وهي:

أوّلا: موافقة القراءة للعربيّة بوجه من الوجوه

ثانيا: موافقة القراءة للرّسم العثماني

ثالثا: صحّة السّند

ومن اختّل ركن منها أو أكثر أطلق عليها **ضعيفة** أو **شاذّة** أو **باطلة**.

ج- فوائد هذا العلم:

لاختلاف القراءات الصّحيحة فوائد منها:

- الدّلالة على صيانة كتاب الله وحفظه من التّبديل والتّحريف.
- التّخفيف على الأمّة وتسهيل القراءة عليها.
- بيان إعجاز القرآن في إيجازه.

ملاحظة: الجدير بالذّكر أنّ قارئ القرآن لا يسمّى مقرئا حتّى ولو حفظ الأربع عشرة قراءة كلّها إلاّ إذا أحكمها بالسّماع والمشافهة.

---

1 سورة فاطر: 28
2 سورة النساء: 12

5- علم الإعجاز القرآني

أ- التّعريف به:

علم الإعجاز القرآني هو علم يتناول بالدّراسة والبحث وجوه إعجاز القرآن المجيد.

ب- عناية العلماء به:

جـــرت الحكـمة الإلاهيّة أن يؤيّد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات والدّلائل الواضحات والحجج الدامغات الدّالة على صدقهم وأمانتهم.ولئن كانت معجزات السّابقين حسّية تتناسب مع العصر الّذي بعثوا فيه كمعجزات موسى عليه السّلام، حيث كانت اليد والعصا لأنّه بعث في زمن كثر فيه السّحر والسّحرة،و كذلك معجزات عيسى عليه السّلام حيث أجرى الله على يديه إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، لأنّه بعث في عصر كثر فيه الطبّ والحكمة، فإنّ معجزة محمّد عليه السّلام هي القرآن المجيد وهي معجزة خالدة ودائمة.

يقول **العلاّمة الزّرقاني** في كتابه **"مناهل العرفان في علوم القرآن":" وهنا نلفت النّظر إلى أنّ القرآن بما اشتمل عليه من المعجزات الكثيرة، قد كتب له الخلود فلم يذهب بذهاب الأيّام، ولم يمت بموت الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، بل هو قائم على فم الـــدّنيا يحـــاجّ كلّ مكذّب، ويتحدّى كلّ منكر، ويدعو أمم العالم جمعاء إلى ما فيه من هداية الإسلام وسعادة بني الإنسان..."**

و لعلّ أوّل من تكلّم في هذا العلم هو **الجاحظ** (توفي سنة 255 هـ) صاحب كتاب **"نظم القرآن"**.ثمّ تلاه كثير من العلماء أشهرهم:

- **الرّماني** (توفي سنة 384 هـ) صاحب كتاب " **النّكت في إعجاز القرآن** "
- **القاضي أبو بكر الباقلاّني** (توفي 403 هـ) وألّف كتابه المشهور " **إعجاز القرآن** "
- **عبد القاهر الجرجاني** (توفي 471 هـ) وألّف " **دلائل الإعجاز** " و" **أسرار البلاغة** "

و من العلماء المعاصرين نذكر: الرّافعي وألّف **"إعجاز القرآن" والسيّد قطب** وألّف **" التّصوير الفنّي في القرآن " ومحمّد عبد الله درّاز** وألّف **" النّبأ العظيم"**...وغيرهم كثير.

ت- وجوه الإعجاز القرآني:

لقد عني العلماء والباحثون بتحديد جوانب الإعجاز في القرآن وذهبوا في ذلك مذاهب شتّى أهمّها:

- **المذهب الأوّل: إعجاز القرآن كان بالصَّرفة**

والصّرفة تعني في نظرهم أنّ العرب لا يستطيعون الإتيان بمثل القرآن لأنّ الله صرفهم عن ذلك.

ومن هؤلاء **النظّام المعتزلي** (ت 222 هـ) و**الخفاجي** (ت 466 هـ) والقول بالصّرفة رأي فاسد يردّ عليه القرآن بقوله تعالى **" قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا"**[1].

- **المذهب الثّاني: إعجاز القرآن كان بذاته**

أي أنّ وجوه الإعجاز في القرآن لا يمكن حصـــرها ولا يتأتّى ضبطــها: فهو معجـز في ألفاظه وأسلوبه وبيانه ونظمه، وهو معجز في معانيه وتشريعاته، وهو معجز في علومه ومعارفه، وهــو معجز في إخباره عن الغيبيات....و غيرها.ولازال الــزّمن يكشف عن أســرار هذا الإعجــاز وأنواعه، وقد أجمع أغلب العلماء على هذا الرّأي.

يقــول **الخطابي** في كتابه **"بيان إعجاز القرآن":" فخرج من هذا أنّ القرآن إنّما صار معجزا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التّأليف، مضمّنا أصحّ المعــاني، من توحيد الله وتنزيهه في صفاته، ودعاء إلى طاعته وبيان لمنهج عبادته في تحليل وتحــريم، وحظر وإبــاحة، ومــن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساويها، واضعا كلّ شيء منها موضعه الّذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يتوهّم في صورة العقل أمر**

---

1 سورة الإسراء: 88

أليق به منه، مودعا أخبار القرون الماضية، وما نزل من مثلات الله بمن عصى وعاند منهم.و معلوم أنّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتّى تنتظم وتتّسق، أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرتهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله "[1].

و بكثير من الإيجاز نعدّد وجوه الإعجازإجمالا فهي:

أوّلا: النّظم البديع المخالف لكلّ نظم معهود في لسان العرب

ثانيا: الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربيّة

ثالثا: الجزالة الّتي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها

رابعا: التّشريع الدّقيق الكامل الّذي لا يضاهيه أيّ تشريع وضعي

خامسا: الإخبار عن المغيبات الّتي لا تعرف إلاّ بالوحي

سادسا: عدم التّعارض مع العلوم الكونيّة المقطوع بصحّتها

سابعا: الوفاء بكلّ ما أخبر عنه القرآن من وعد ووعيد

ثامنا: العلوم والمعارف الّتي اشتملت عليها العلوم الشّرعيّة والعلوم الكونيّة

تاسعا: وفاؤه بحاجات البشر

عاشرا: تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء

إحدى عشر: سلامته من التّناقض...

و بشيء من التّفصيل لبعض هذه الوجوه نقول:

- **الوجه الأوّل:الإعجاز البياني أو البلاغي أو اللّغوي**

من أهمّ وجوه الإعجاز النّظم البديع المخالف لكلّ نظم معهود في لسان العرب فهو ليس بالشّعر ولا بالنّثر ولا بالسّحر ولا بالكهانة.وهذه البلاغة القرآنيّة كانت سببا في إسلام الفصحاء من العرب أمثال: عمر **بن الخطاب وجبير بن مطعم وأنيس الغفاري وعتبة بن ربيعة...**

1مباحث في علوم القرآن للقطان ص 270

أمّـا الوليد بـن المغيرة فـرغم عناده وكـفره فقد إعتـرف ببلاغة القرآن لمّـا سـمع النّبي يتلـوه فقال: " **والله إنّ لقوله لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق وإنّه ليعلو وما يعلى عليه...**".[1]

ويروى أنّ**الأصمعي** خرج ذات يوم فلقي جارية وسمعها تنشد أبياتا من الشّعر رائعة قائلة:

أستغفر الله لذنبي كلـّـــــه قبّلت إنســـــانا بغير حلـّه

مثل الغزال ناعما في دلـــّـه وانتصف اللّيل ولم أصلـّـــه

فأعجب بتلك الأبيات وهزّت منه النّفس والقلب، بجمال أسلوبها وروعة بيانهاو فصاحة ألفاظها فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك ؟ فقالت له: ويحك أوَ يُعَدُّ هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى:

" وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"[2].ثمّ قـالت له: **"فقد جمعت هذه الآية على وجازتها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين..."** قـال **الأصمعي:"فأعجبت بفهمها وإدراكها أكثر ما أعجبت بشعرها..."**[3]

- **الوجه الثّاني: الإعجاز الغيبيّ والتّاريخيّ**

هذا النّوع من الإعجاز يظهر في إخبار القرآن عن المغيّبات السّابقة والمستقبلة وذكر قصص الأمم السّابقة مع أنبيائهم وهي أمور لا يطّلع عليها إلاّ بالوحي ومن أمثلتها:

❖ **المثال الأوّل:**إخبار القرآن عن الحرب الّتي ستقع بين الرّوم والفرس وستكون الغلبة للرّوم بعد أن كانت الغلبة للفرس وذلك في قوله تعالى:**"الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي**

1أخرجه الحاكم والبيهقي
2 سورة القصص: 7
3 تفسير القرطبي ج3 ص252

بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ"[1].

- **المثال الثّاني:**تنبّؤ القرآن بدخول الرّسول وأصحابه مكّة آمنين مطمئنين بعد أن رأى الرّسول رؤيا في منامه وذلك قبل خروجه إلى الحديبية وذلك في قوله تعالى:**"لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا"**[2].
- **المثال الثّالث:**تنبّؤ القرآن بانهزام المشركين قبل وقوع الحرب في غزوة بدر وذلك في قوله سبحانه:**" أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ"**[3].
- **المثال الرّابع:** تنبؤ القـرآن بإظهارالإسـلام على جميع الأديان ووعد الله بنـصرة المسلمين وذلك في قوله تعالى:**"هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ"**[4].و في قوله تعالى أيضا:**" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"**[5].

- **الوجه الثّالث:الإعجاز التّشريعي الإلاهي الكامل**

إنّ القرآن الكريم يشـمل فيما يشـمل عـقيدة صحيحة وهي عقيدة التّوحيد وتشريعا ربانيّا كاملا ومتكاملا يسمو فوق كل التّشريعات والقوانين الوضعيّة الّتي عرفتها البشريّة قديما وحديثا.

---

1 سورة الروم: 1-5
2 سورة الفتح: 27
3 سورة القمر: 44-46
4 سورة التوبة:33
5 سورة النور: 55

و إنّ هذا الكتاب المعجز يوضّح لنا أصول العقيدة وأحكام العبادات والآداب والفضائل وقواعد النّظم التّربويّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة...لترقى الأفراد والجماعات والأسر والأمم والشّعوب.يقول الله سبحانه في كتابه العزيز:**" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"**[1].

و يقول جلّ وعلا:**" مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ"**[2].

- **الوجه الرّابع:الإعجاز العلمي**

القرآن الكريم ليس كتاب طبيعة أو طبّ أو هندسة...و إنّما هو كتاب هداية وإرشاد وعقيدة وتشريع بالدّرجة الأولى ولكنّه مع ذلك كلّه كتاب يأمر بالعلم النّافع والعمل الصّالح لتعمير الكون، لذلك لم يخل القرآن من إشارات علميّة دقيقة في شتّى العلوم الكونيّة.

يقول تعالى آمرا عباده بالتدبّر والتامّل في الكون:**" سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"**[3].

و من هذه الإشارات العلميّة الدّقيقة نذكر:

- **أوّلا:** الزّوجية المنبثّة في كلّ شيء.قال سبحانه:**" وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "**[4].وقوله تعالى:**" سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ"**[5].

1سورة المائدة:3
2 سورة الأنعام: 38
3 سورة فصلت: 53
4 سورة الذاريات:49
5 سورة يس: 3

- **ثانيا:** خلق الإنسان من نطفة أمشاج.قال سبحانه:" **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)**"[1].
- **ثالثا:**إختلاف بصمات الإنسان. قال تعالى:" **أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ** "[2].
- **رابعا:** التّلقيح بواسطة الرّياح. قال سبحانه:" **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**"[3].
- **خامسا:** جعل الماء أصل الحياة. قال جلّ ذكره:" **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**"[4]

- **الوجه الخامس: سلامة القرآن من التّناقض**

القرآن الكريم سليم من التّناقض والتّعارض، خلافا لجميع كلام البشر، فكلّ سـوره وآياته تؤكّد على ثوابت أساسيّة لا تتغيّر ولا تتبدّل بتغيّر الزّمان والمكان والحال، بل هي صالحة لكـلّ زمان ومكان وحال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن هذه الثّوابت: الدّعوة إلى التّوحيد والأمر بالفضائل والنّهي عن الرّذائل والحثّ على طلب العلم النّافع والعمل الصّالح.و صدق الله العظيم حيث قال:"**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**"[5].

ث- لمحة عن فواتح السّور والحكمة منها:

فواتح السّور هي حروف نورانيّة أو حروف التّهجي الّتي تفتتح بها بعض السّورالقرآنيّة.

- فمنها **البسيط** المؤلّف من حرف كسور:(**ص**) و(**ق**) و(**ن**).

---

1 سورة الإنسان 1-2
2 سورة القيامة 3-4
3 سورة الحجر: 22
4 **سورة الأنبياء: 30**
5 **سورة النساء: 82**

- و منهـا **المؤلّف مـن حـرفين** كسـور الحـواميم الّتي تبتـدئ بـ **(حـم)** كسـورة غـافر وفصّـلت والشّورى والزّخرف والدّخان...و سور:**طه ويس**.
- و منهـا **المؤلّف من ثـلاثة أحرف** كسـورة البقـرة **(الـم)** وسـورة آل عمران **(الـم)** وسورة يوسف **(ا لر)**...
- و منها **المؤلف من أربعة أحرف** كسورة الأعراف **(المص)** وسورة الرّعد **(آلمر)**...
- و السّورة الوحيدة **المفتتحة بخمسة أحرف** هي سورة مريم **(كهيعص)**.

و لقد ذهب المفسّرون مذاهب شتّى في بيان الحكمة من هذه الحروف المقطّعة: فقد إستغلق الأمر على البعض، وذهب البعض الآخر إلى تفسيرات باطنيّة، وقال فريق آخر:" **إنّ فواتح السّور إنّما ذكرت في القرآن لتبيّن للعرب أنّ القرآن نزل بالحروف الّتي يعرفونها فيكون ذلك تحدّ لهم ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله** ". وإلى هذا الرّأي مال كثير من المفسّرين أمثال:

- **ابن جرير الطّبري** (المتوفّى 310 هـ) صاحب " **جامع البيان في تفسير القرآن** "
- **فخر الدّين الرّازي** (المتوفّى606 هـ) صاحب **"مفاتيح الغيب"**
- **البيضاوي** (المتوفّى 685 هـ) صاحب تفسير **"أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل"**
- **ابن كثير** (المتوفّى 774 هـ) صاحب تفسير **"القرآن العظيم"**

و يبقى الإمام **محمّد رشيد رضا** من المفسّرين المعاصرين وصـاحب تفسير **"المنـار"** خير من أوضح الحكمة من افتتاح بعض السّورالقرآنيّة بهذه الحروف حيث يقول:" **مـن حسـن البيان وبلاغة التّعبير، الّتي غـايتها إفهـام المراد من الإقناع والتّأثير، أن ينبّه المـتكلّم المخـاطب إلى مهمّات كلامه والمقاصد الأولى بها...فـأيّ غرابة في أن يزيد عليها القرآن الّذي بلغ حدّالإعجاز في البلاغة وحسن البيان...**"[1]

1مباحث في علوم القرآن " لصبحي الصالح ص 234

ج- فوائد هذا العلم:

من الفوائد الّتي يمكن إستخلاصها من هذا العلم:

- القرآن المجيد هو كلام الله المعجز، ولا يحيط بكلّ أسراره أحد مهما أوتي من علم
- القرآن الكريم هو تنزيل الحكيم الحميد ووحي أوحاه الله إلى نبيّه الكريم وهو أكبر معجزة له للتّدليل على أمانته وصدقه صلّى الله عليه وسلم
- عجز الإنس والجنّ على الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

وصدق الله العظيم حيث قال:" **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** "[1].

6- علم النّاسخ والمنسوخ

أ- التّعريف به:

علم النّاسخ والمنسوخ هو علم يتناول بالدّرس الأحكام الشّرعيّةالنّاسخة والمنسوخة(أي المتأخّرة والمتقدّمة) حسب التدرّج في نزول الوحي على النّبي والواردة في القرآن المجيد.

ب- تعريف النّسخ لغة واصطلاحا:

- **لغـة:** نَسَخَ – يَنسخُ – نسخًا، نسخ الشّيء أي أزاله وغيّره وأبطله.يقال: نسخ الشّيب الشّباب بمعنى أزاله ونسخ الله الآية أي أزال حكمها واستبدله بحكم آخر.
- **إصطلاحا:**النّسخ هو إبطال حكم شرعيّ سابق بحكم شرعيّ لاحق.
أو هو رفع الحكم الشرعيّ بدليل شرعيّ متأخّر عن دليل ذلك الحكم وذلك في إصطلاح علماء الأصول.

فإذا تعارض نصّان من النّصوص الشّرعيّة وعرف تاريخ كلّ منهما، فإنّ النّص المتأخّر ينسخ النصّ المتقدّم ويحلّ محلّه ويسمّى النّص المتأخّر النّاسخ والنصّ المتقدّم المنسوخ.

---

1 سورة لقمان:27

ت- عناية العلماء به:

لعلم النّاسخ والمنسوخ أهميّة كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليّين والمفسّرين حتّى لا تختلط الأحكام الشّرعيّة.

و روي أنّ**عليّا** كــرّم الله وجهه مــرّ علـــى قاض فقــال له: **"أتعرف النّاسخ من المنسوخ ؟ قال: لا، فقال: هلكت وأهلكت".**

و جمهور العلماء على جواز النّسخ عقلا ووقوعه شرعا في الأحكام الشّرعيّة العمليّة أي الأوامر والنّواهي فقط. ودليلهم في ذلك قوله تعالى: **" مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"**[1]. وقوله سبحانه:**" وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"**[2].

لكنّ العلماء أجمعوا كذلك أنّ هناك أمورٌ لا تقــبل النّسخ أبدا وهي العقائد والمبادئ الأخلاقيّة وأصول العبادات والمعاملات لأنّها تتماشى والفطرة الإنسانيّة.

قال الله سبحانه:**" شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ "**[3].

ث- أقسام النّسخ وأمثلة لها:

قسّم العلماء النّسخ إلى أربعة أقسام وهي:

- **القسم الأوّل: نسخ القرآن بالقرآن**

الأصل في آيات القرآن كلّها الإحكام لا النّسخ إلّا أن يقوم دليل صريح على النّسخ فلا مفرّ من الأخذ به.وقد ذكر **السّيوطي** في كتابه **" الإتقان في علوم القرآن "** إحدى وعشرين آية فقط من قبيل نسخ القرآن بالقرآن.وقد إتّفق العلماء على جوازه ومن أمثلته:

---

1 سورة البقرة: 106
2سورة النحل:102
3 سورة الشورى: 13

- **المثال الأوّل:** قوله تعالى: " **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**"[1] منسوخة بقوله:" **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ**"[2].
- **المثال الثّاني:** قوله تعالى:" **وَالّذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ** "[3].نسخت بقوله " **وَالّذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ**".[4]
- **المثال الثّالث:** قوله سبحانه:" **وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ**"[5].نسخت بقوله:" **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**"[6].

- **القسم الثّاني: نسخ القرآن بالسنّة**

و قد أجاز **مالك** و**أبو حنيفة** و**أحمد** في رواية نسخ القرآن بالسنّة المتواترة ولم يجيزوه بالسنّة الآحادية ودليلهم على ذلك قوله تعالى:"**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)**".[7]

أمّا **الشّافعي** و**أحمد** في **رواية أخرى** و**أهل الظّاهر** فلا يجيزوه ودليلهم في ذلك قوله تعالى:"**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**".[8]

- **المثال الأوّل:** قوله تعالى:" **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**".[9]

---

1 سورة البقرة: 115
2 سورة البقرة: 144
3سورة البقرة: 240
4سورة البقرة: 234
5سورة البقرة: 284
6سورة البقرة: 286
7سورة النجم: 3-4
8سورة البقرة: 106
9سورة البقرة: 180

❖ **المثال الثّاني:**لمّا شرع الله المواريث وأوضح مراتب المستحقّين ومقادير أنصبائهم جاء على لسان رسول الله ما يدلّ على نسخ الوصيّة بالنّسبة للوالدين والأقارب والوارثين.وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام في الحديث الصّحيح المتواتر:" **إنّ الله قد أعطى كلّ ذي حقّ حقّه فلا وصيّة لوارث** "[1].

- **القسم الثّالث: نسخ السنّة بالقرآن**

و هذا النّوع يجيزه جمهور العلماء ومن أمثلته:

❖ **المثال الأوّل:**إستقبال بيت المقدس كان مشروعا في صدرالإسلام، ولم يعرف تشريعه إلاّ في السنّة وقد نسخ بقول الله سبحانه: " **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**"[2].

❖ **المثال الثّاني:**وجوب صوم يوم عاشوراء كان ثابتا بالسنّة ونسخ بقوله تعالى:" **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ".[3]

و قد أخرج **البخاري ومسلم** عن عائشة قالت:" **كان الرّسول أمر بصيام يوم عاشوراء فلمّا فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر**".

- **القسم الرّابع: نسخ السنّة بالسنّة**

و تنسخ السنّة بالسنّة إذا تساوت في الدّلالة، فالسنّة المتواترة لا تنسخها إلاّ مثلهاوخبر الآحاد ينسخه مثله، كما ينسخه المتواتر والمشهور لأنّهما أقوى منه.و من أمثلة هذا القسم:

❖ **المثال الأوّل:**نهى رسول الله عن زيارة المقابر في بداية الدّعوة خوفا من الرّجوع إلى الوثنيّة والقبليّة ولمّا رسخ الإيمان في نفوس المسلمين حرّضهم على زيارتها بقوله عليه الصّلاة والسّلام:" **كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنّها تذكّر بالآخرة وتزهّد في الدنيا**"[4].

❖ **المثال الثّاني:**نهى رسول الله عن إدّخار لحوم الأضاحي في سنة مجاعة لمّا قدم أعراب إلى المدينة للتّخفيف من وطأة الفاقة ثمّ لمّا انتهت هذه الحالة سمح للنّاس بادّخارها بقوله:" **كنت نهيتكم عن**

---

1 رواه البخاري
2سورة البقرة: 144
3 سورة البقرة:185
4رواه ابن ماجه

إدّخار لحوم الأضاحي لأجل الدّافة الّتي دفت (المجاعة)، فكلوا وادّخروا "[1].

و نهى رسول الله عن تدوين وكتـــابة السنّة لكي لا تختلط بالقرآن الكريم ثمّ كتبت السنّة بعد ذلك.ففي **صحيح مسلم عــن أبـــي سعــيد الخذري**عن رسول الله أنّه قال:**" لا تكتبوا عنّي غير القرآن ومن كتب شيئا فليمحه"**.

ج- أنوع النّسخ في القرآن وأمثلة لها:

النّسخ في القرآن ثلاثة أنواع:

- **النّوع الأوّل: نسخ الحكم وإبقاء اللّفظ**

❖ **مثـــاله:** نسخ حكم آية العدّة بالحول مع بقاء تلاوتها في قوله تعالى:**"وَالَّذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".**[2]

- **النّوع الثّاني: نسخ اللّفظ وإبقاء الحكم.**

❖ **مثـــاله:**آية الرّجم المنسوخة لفظا:**" الشّيخ والشّيخة إذا زنيا فأرجموهما ألبتة"**. وكانت ضمن سورة الأحزاب.[3]

- **النّوع الثّالث: نسخ اللّفظ والحكم معا**

❖ **مثـــاله:** ما رواه مسلم وغيره عن عائشة قالت: **"كان فيما أنـزل عـشر رضعـات معـلومات يحرّمن، فنسـخن بخمـسة معلومات. فتـوفي رسـول الله وهنّ ممّا يقرأ من القرآن".**[4]

ح- زمن النّسخ:

أجمع العلماء على أنّ النّسخ تحقّق في حياة الرّسول باعتباره المتلقّي للوحي، أمّا بعد وفاته فلا نسخ لشيء من الأحكام الشّرعيّة.

و إنّ النّسخ قد انتهى باكتمال الرّسالة المحمّديّة وهي خاتمة الشّرائع السّماوية وهي باقية ودائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

---

1 رواه البخاري
2 سورة البقرة: 240
3 رواه إبن حبان في صحيحه
4 نواسخ القران لإبن الجوزي ص110 تحقيق محمّد أشرف ط 1984

وصدق الله حيث قال:" **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُالإسلام دِينًا** "[1].

خ- فوائد هذا العلم:

لعلم النّاسخ والمنسوخ فوائد جليلة أبرزها:

- التدرّج في الأحكام الشّرعيّة مسايرة وتيسيرا ومراعاة لظروف العباد، فقد بعث محمّد عليه الصّلاة والسّلام في قوم لم يتقيّدوا بقانون وكانوا مدمنين على بعض الآفات الخطيرة كعبادة الأصنام وشرب الخمر والميسر والرّبا وأكل الميتة والأخذ بالثأر... وجاء الإسلام ناسخا وناهيا عنها بصفة تدريجيّة.
- تطوّر التّشريع الإسلامي إلى مرتبة الكمال حسب تطوّر الدّعوة إلى الله وتطوّر حال النّاس.
- ابتلاء واختبار المكلّف بالإمتثال لله من عدمه.

7- علم العامّ والخاصّ

أ- التّعريف به:

علم العامّ والخاصّ هو علم يتناول بالدّرس الألفاظ والآيات القرآنيّة الواردة بصيغ التّعميم والتّخصيص.

ب- تعريف العّام وأمثلة توضيحيّة له:

العامّ هو اللّفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر.

وقد بيّن علماء اللّغة والبيان أنّ صيغا عديدة وضعت في اللّغة العربيّة للدّلالة حقيقة على العموم.و من الأمثلة التّوضيحيّة للعامّ:

- **المثال الأوّل:**لفظ " **كُلٌّ**" و" **جَمِيعًا** " يدلاّن على العموم.

---

1 سورة المائدة: 3

كقوله تعالى:" **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**"[1].

و قوله سبحانه: "**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**"[2].

- ❖ **المثال الثّاني:** الجمع المعرّف بالألف واللاّم المفيدة للاستغراق والشّمول.كما في قوله تعالى:" **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**"[3] وقوله سبحانه:" **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**"[4]
- ❖ **المثال الثّالث:** المفرد المعرّف بالألف واللاّم أو الإضافة كقوله سبحانه:" **وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)**[5].فإن لفظ "**الْإِنسَانَ**" يدلّ على إستغراق كلّ أفراد النّاس.
- ❖ **المثال الرّابع:** الأسماء الموصولة كقوله تعالى:" **إِنَّ الَّذين يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** "[6].فإنّ اسم الموصول " **الّذين** " يشمل كلّ آكل لمال اليتيم دون حقّ.
- ❖ **المثال الخامس:** النّكرة الواقعة في سياق النّفي أو النّهي أو الشّرط.مثل قوله تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**"[7].تشمل الآية جميع الفاسقين لوقوع لفظ " **فَاسِقٌ** " بعد الشّرط الوارد في الآية"**إن جَاءَكُمْ**".

---

1 سورة آل عمران: 185
2 سورة البقرة: 29
3 سورة آل عمران: 134
4 سورة المؤمنون: 1
5 سورة العصر
6 سورة النساء: 10
7 سورة الحجرات: 6

ت- تعريف الخاصّ وأمثلة توضيحيّة له:

الخاصّ يقابل العامّ وهو الّذي لا يستغرق الصّالح له من غير حصر والتّخصيص هو إخراج بعض ما تناوله اللّفظ العام.ومن الأمثلة التّوضيحيّة للخاصّ:

- **المثال الأوّل: الإستثناء:**مثل قوله تعالى:" **وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)**"[1].
- **المثال الثّاني: الغاية:**كقوله تعالى:**وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ**"[2].
- **المثال الثّالث: بدل البعض من الكلّ:**مثل قوله سبحانه:" **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**"[3]فقوله:" **مَنِ اسْتَطَاعَ**" من النّاس فيكون وجوب الحجّ خاصّا بالمستطيع.

ملاحظة هامة:في اللّغة العربية متى إجتمع المذكّر والمؤنّث غلب التّذكير، وأغلب خطاب الله تعالى في القرآن بلفظ التّذكير والنّساء يدخلن في جملته كقوله تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذين مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**"[4].

8- علم المحكم والمتشابه

أ- التّعريف به:

علـم المحكم والمتشـابه هو علم يتناول بالدّرس الآيات المحكـمات والآيـات المتشابهات الواردة في القرآن.

ب- تعريف المحكم وأمثلة توضيحيّة له:

---

1 سورة العصر
2 سورة البقرة:196
3 سورة آل عمران: 97
4 سورة البقرة: 183

المحكم هو اللّفظ الدّال على المقـصود الّذي سيق لـه وهو واضح في معناه ولا يقبل تأويلا ولا تخصيصا ولا نسخا وهو الغالب في القرآن الكريم.

و من الأمثلة التّوضيحيّة للمحكم:

- **المثال الأوّل:** الآيات الدّالة على حكم أساسي من قواعد الدّين أي أصول الدّين أو أركان العقيدة: كـالإيمان بالله وحده والإيمان بالملائكة والكتب والرّسل واليوم الآخرو بالقضاء والقدر خيره وشرّه...كقوله تعالى:" **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِين آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ** "[1].
- **المثال الثّاني:** الآيات الدّالة على الفضائل كالوفاء بالعهد والصّدق والتّعاون...مثل قوله سبحانه:" **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**"[2].
- **المثال الثّالث:** الآيات النّاهية عن الرّذائل كالكذب والغشّ والسّخرية والتّنابز بالألقاب..كقوله تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**"[3].

ت- تعريف المتشابه وأمثلة توضيحيّة له:

المتشابه هو اللّفظ الّذي خفي معناه ويحتمل التّأويل، وهو القليل في القرآن الكريم.

ومن الأمثلة التّوضيحيّة للمتشابه:

- **المثـال الأوّل:** فـواتح بعـض السّور أي الحـروف المقـطّعة مثل قـوله تعـالى **(ق)** و**(حم)** و**(ألم)** و**(المر)** و**(كهيعص)**...فإنّ هذه الحروف غير واضحة المعنى إلاّ أنّ بعض المفسّرين حاول توضيحها.

---

1 سورة الحديد: 7
2 سورة المائدة: 2
3 سورة الحجرات:11

❖ **المثال الثّاني:** الآيات المشكلة الواردة في صفات الله تعالى كقوله تعالى:" **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** "[1] وقوله سبحانه:" **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**"[2]وقوله سبحانه:" **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**"[3] وقوله سبحانه:" **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**"[4]وقوله تعالى:" **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**"[5]وقوله تعالى:" **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي**"[6] وقوله سبحانه:" **إِنَّ الَّذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**"[7]وقوله سبحانه:" **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**"[8].

و للعلماء في المتشابه من صفات الله مذهبان أساسيان:

- **المذهب الأوّل: مذهب السّلف (أهل الأثر)**

السّلف ينزّهون الله عن هذه الظّواهر والصّفات المستحيلة عليه ويؤمنون بها بالغيب ويفوّضون علم حقائقها إلى الله.

و ينسب هذا المذهب إلى مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وأحمد تقي الدّين بن تيمية ومحمّد بن قيّم الجوزيّه...و غيرهم

فقد سئل **الإمام مالك** عن الإستواء فقال:"**الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة**".

- **المذهب الثّاني: مذهب الخلف (أهل الرّأي)**

الخلف يؤوّلون هذه الآيات المتشابهات فيحملون الإستواء على العلوّ المعنويّ بالتّدبير من غير معاناة، ومجيء الله على مجيء أمره، وفوقيته على العلوّ لا في

---

1 سورة طه: 5
2 سورة الفجر: 22
3 سورة الأنعام:61
4 سورة الزمر: 56
5 سورة الرحمان:27
6 سورة طه: 39
7 سورة الفتح:10
8 سورة آل عمران: 28

جهة، وجنبه على حقّه، ووجهه على ذاته، وعينه على عنايته، ويده على قدرته، ونفسه على عقوبته...وهكـذا يؤول الخلف على هذا المثال جميع ما ورد:من رضى الله وحبّه وغضبه وسخطه وحيائه بحملها على أقرب مجاز.

و ينسب هذا المـذهب إلى إمـام الحـرمين عبد الملك الجويني وأبو الحسن الأشعري وتلميذه أبو منصور الماتوريدي وأبو إسحاق الشّيرازي والرّاغب الأصفهاني...و غيرهم.

أمّا سبـب الإختـلاف فيـعود إلـى الوقـف فـي الآية 7 مـن سـورة آل عمران حيث يقول الله تعالى:" **هُوَ الّذي أنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأمَّا الّذين فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنـدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**"[1].فالسّلف يوجبون في الآية الوقوف على اسم الجلالة **"الله"**، أمّا الرّاسخون في العلم فقد إنتهى علمهم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: **"آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنِدِ رَبِّنَا."**

أمّا الخلف يوجبون في الآية الوقف على لفظ **"وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ"** فهم على ذلك يعلمون المتشابه وقالوا: ليس شيء إستأثر الله بعلمه بل وقف العلماء عليه لأنّ الله أورد هذا مدحا للعلماء، فلو كانوا لا يعرفون معناه لشاركوا العامّة.

و الكلام في هذه المسألة يطول وهو من شأن علم التّوحيد.

و لعـلّ المـفسّر **فخـر الـدّين الرّازي** (المتوفّى 606 هـ) وصـاحب تفسـير القـرآن المـشهور " **مفاتيح الغيب** " قـد إهتدى إلى الحكمة من ورود المحكم والمتشابه في القرآن فهو يقول:" **إنّ القرآن يشتمل على دعوة الخواصّ والعوام وطبائع العوام تنبو في أكثر الأمور علـى إدراك الحقائق، فمـن سمـع مـن العوام في أوّل الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيّز ولا مشار إليه، ظنّ أنّ هـذا عدم ونفي محض فيقع في التّعطيل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالّة عـلى بعض ما يناسب مـا تخيّلوه وما توهّموه، ويكون ذلك مخلوطا بمـا يدّل علـى الحقّ**

---

1 سورة آل عمران: 7

الصّريح.فالقسم الأوّل – وهو الّذي يخـاطبون به في أوّل الأمر من باب المتشابه – والقسـم الثّاني – وهو الّذي يكشف عن الحقّ الصّريح – هو المحـكم "[1]

9- علم الحقيقة والمجاز (أو علم البيان)

أ- تعريف الحقيقة:

الحقيقة هي اللّفظ المستعمل فيما وضع له في أصل اللّغة.

ب- أمثلة توضيحيّة لها:

- **المثال الأوّل:** كقوله تعالى:" **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ** ۚ"[2].و المقصود بلفظ " **الْوَالِدَاتُ** " هو الأمّهات حقيقة.
- **المثال الثّاني:** كقوله سبحانه:"**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** ۚ"[3].والمقصود بلفظ " **الْمُطَلَّقَاتُ** " هنّ النّساء المفارقات لأزواجهنّ حقيقة.

ت- تعريف المجاز:

المجاز هـو اللّفـظ الّذي خرج عن إستعماله اللّغوي لعلاقة بين ما وضع له وبين ما خرج إليه.

ث- أمثلة توضيحيّة له:

- **المثـال الأوّل:** كقـولـه تعـالى:" **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ** ۚ"[4].هـذا التّعبير من المجـــاز اللّـــغوي وهـــو إطـــلاق إسم الكلّ **"الأصابع"** على الجزء " **الأنامل** "و فـي ذلك تصـوير دقـيق لحالة الكفّار النّفـسية ومـا أصـابهم مـن الذّعر والهلع.

---

1 " مناهل العرفان " للزرقاني
2 سورة البقرة: 233
3 سورة البقرة 228
4 سورة البقرة: 19

❖ **المثال الثّاني:** كقوله سبحانه:" **وَأَمَّـا مَـنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَـأُمُّهُ هَـاوِيَةٌ (9)**[1]. فلفظ " **أُمُّهُ هَاوِيَةٌ** " مجاز وليس حقيقة أي كما أنّ الأمّ كـافلة لـولدها كـذلك النّار للكافرين كافلة ومأوى لهم.

وقـد أبرز **الإمام السّيوطي** في كتابه **"الإتقان في علوم القرآن"** أهميّة علم الحقيقة والمجاز بقوله: **" لو سقط المجاز من القرآن لسقط منه شطر الحسـن، فقـد إتّفـق البلـغاء علـى أنّ المجازأبلغ مـن الحقيـقة ولو وجب خلوّ المجاز من القرآن لوجب خلوّه من الحذف والتّوكيد وتثنية القصص وغيرها "**[2]

10- علم المطلق والمقيّد

أ- تعريف المطلق:

المطلق هو اللّفظ الّذي يدلّ على الحقيقة بلا قيد أو شرط أو غاية.

ب- أمثلة توضيحيّة له:

❖ **المثال الأوّل:** مثل قوله تعالى: " **مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ** "[3].

فلفظ **"وَصِيَّةٍ"**ورد مطلقا عن التّقييد بمقدار معيّن ولكن قام الدّليل على تقييدها بالثّلث.

وهو ما روي أنّ النّبي منع سعد بن أبي وقّاص من الوصيّة بأكثر من الثّلث و قال له:" **الثّلث والثّلث كثير إنّك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفّفون النّاس**".(رواه الشّيخان)

❖ **المثال الثّاني:** مثل قوله سبحانه:" **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13)أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14)يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16)**"[4].

فلفظ " **رَقَبَةٍ** " يدلّ على المطالبة بعتق رقبة من غير شرط أن تكون مؤمنة أو غير مؤمنة.

---

1 سورة القارعة 8-9
2 الإتقان للسّيوطي ج2 ص59
3 سورة النساء: 11
4 سورة البلد: 11-16

ت- تعريف المقيّد:

المقيّد هو اللّفظ الّذي يدلّ على الحقيقة بقيد أو شرط أو غاية.

ث- أمثلة توضيحيّة له:

❖ **المثال الأوّل:** كقوله تعالى:" **مَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ**"[1].

فلفظ "**رَقَبَةٍ**" ورد مقيّدا بصفة الإيمان، فوجب تحرير رقبة مؤمنة ولا يجزيء تحرير رقبة كافرة في كفّارة قتل المؤمن خطأ.

❖ **المثال الثّاني:** كقوله سبحانه:" **وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ** "[2].

فقد ورد لفظ " **رَبَائِبُكُمُ** " مقيّدا بالدّخول " **اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ**"و بمقتضى ذلك فإنّ بنت الزّوجة لا تحرم إلاّ إذا حصل الدّخول بأمّها.

11- علم المنطوق والمفهوم

أ- تعريف المنطوق:

المنطوق هو ما دلّ عليه اللّفظ في محلّ النّطق أي أنّ دلالته تكون من مادّة الحروف الّتي ينطق بها.

وهو أيضا مجرّد دلالة اللّفظ (أو العبارة) دون نظر إلى ما يستنبط منه.

ب- أمثلة توضيحيّة له:

❖ **المثال الأوّل:** مثل قوله تعالى:" **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ۚ "[3].فإنّه يفهم بدلالة العبارة (أي المنطوق) أنّ البيع حلال وأنّ الرّبا حرام.

❖ **المثال الثّاني:** مثل قوله سبحانه:" **فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** ۗ "[4].فإنّ وصف عشرة بـ"

---

1 سورة النساء: 92
2 سورة النساء: 23
3 سورة البقرة: 275
4 سورة البقرة: 196

كَامِلَةٌ " قطع إحتمال العشرة لما دونها مجازا.وبمقتضى ذلك فإنّ من إعتمر في أشهر الحجّ واستمتع بما يستمتع به غير المحرم فعليه ما تيسّر من الهدي وإن لم يجد ثمن الهدي فعليه صيام عشرة أيّام، ثلاثة حين يحرم بالحجّ وسبعة إذا رجع إلى وطنه.

ت- تعريف المفهوم:

المفهوم ما دلّ عليه اللّفظ في غير محلّ النّطق.وهو أيضا مادّل عليه اللّفظ بغيرعبارته ولكنّه يجيء نتيجة وإشارة لهذه العبارة فهو يفهم من الكلام ولكن لا يستفاد من العبارة ذاتها.

ث- أمثلة توضيحيّة له:

- **المثال الأوّل:** كقوله تعالى:" **فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**"[1].فمنطوق الآية تحريم التّأفيف ومفهومها تحريم الشّتم والضّرب لأنّهما أشدّ.
- **المثال الثّاني:** كقوله سبحانه:" **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**"[2]. فمنطوق الآية وجوب إفراد الله بالعبادة والاستعانة ومفهومها أنّ غيره سبحانه لا يعبد ولا يستعان.

ملاحظة هامة:إنّ "**عبارة النّصوص**"(أي المنطوق)، قد يفهمها الفقيه وغير الفقيه.أمّا "**إشارة النّصوص**" (أي المفهوم) فلا يفهمها إلاّ الفقيه في الشّريعة أو القانون أو اللّغة وهم وحدهم قادرون على إستنباط الأحكام الشّرعيّةأو القوانين أو أسرار اللّغة.

12- للقرآن المجيد علوم أخرى

ذكرنا بشيء من التّفصيل أهمّ علوم القرآن الكريم ونشير إلى أنّ العلماء قديما وحديثا لم يقتصروا عليها بل أضافوا إليها وصنّفوا كتبا عدّة في علوم أخرى للقرآن المجيد نذكر منها:

- **علم التّفسير**وهو عـلم العلوم كلّها للقرآن والّذي سنفرد له مبحثا خاصّا به لأهميّته وهو المبحث الموالي.

---

1 سورة الإسراء: 23
2 سورة الفاتحة:5

- **علم إعراب القرآن**
- **علم غريب القرآن**
- **علم بدائع القرآن**
- **علم حجج القرآن...و غيرها.**

وعلى كلّ راغب في الإطّلاع على هذه العلوم الرّجوع إلى تصانيف القدامى والمحدثين في علوم القرآن والّتي أوردنا الكثير منها في مبحث" **لمحة تاريخية عن علوم القرآن** " – وهو مبحث سابق من كتابنا هذا – والله المستعان.

المبحث الثّالث

علم التّفسير وشروط المفسّر وآدابه

1. **التّعريف بعلم التّفسير**
2. **الفرق بين التّفسير والتّأويل**
   - أ- تعريف التّفسير لغة وإصطلاحا
   - ب-تعريف التّأويل لغة وإصطلاحا
3. **نشأة علم التّفسير وتطوّره وعناية العلماء به**
   - أ- نشأة علم التّفسير وتطوّره
   - ب-شرف علم التّفسير وعناية العلماء به
4. **أنواع التّفاسير وأقسامها**
   - أ- القسم الأوّل:التّفسير بالرّواية أو بالمأثور أو بالمنقول
   - ب-القسم الثّاني:التّفسير بالدّرايةأو بالرّأي أو المعقول
   - ت-القسم الثّالث:التّفسير المذهبي أو تفسير الفرق والمذاهب
   - ث- القسم الرّابع:التّفسير بالإشارة أو الإشاري أو الباطنيّ أو الصّوفيّ
   - ج- القسم الخامس:التّفسير الفقهي أو تفسير آيات الأحكام الواردة في القرآن
   - ح- القسم السّادس:التّفسير المعاصر
5. **شروط المفسّر وآدابه**
   - أ- شروط المفسّر
   - ب-آداب المفسّر

المبحث الثّالث

علم التّفسير وشروط المفسّر وآدابه

1- التّعريف بعلم التّفسير

علم التّفسير هو علم يتــناول بالدّرس آيات القرآن وسوره من جميع الوجوه لفهمهاو تدبّــرها والوقوف على ما احتوته من نصح وإرشاد وهداية وأحكام شرعيّة.

ويتحقق ذلك عن طريق الكشف والبيان لما تدلّ عليه الآيات والسّور القرآنيّة.

جــاء فــي تعريــف المفسّر**أبــي حيّان** لعلم التّفسير قوله:**" هوعلم يبحث عن كيفيّة النّطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامهــا الإفرادية والتركيبيّة، ومعانيها الّتي تحمل عليها حالة التّركيب وتتمّات لذلك "**.

أمّا **الزّركشي** صاحب **البرهان** فهو يعرّفه بقوله:**" التّفسير علم يفهم به كتاب الله المنزّل على نبيّه محمّد، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه "**[1].

2- الفرق بين التّفسير والتّأويل

أ- تعريف التّفسير لغة واصطلاحا:

- **لغة:** فسّر – يُفسّر – تفسيرًا أي أبان وأوضح فالتّفسير هو البيان والإيضاح والكشف.يقال: فَسَّرَ الشّيء أي كشف المراد عن لفظه المشكل وبيّنه ووضّحه وفصّل القول فيه.
- **إصطلاحا:**التّفسيرهو علم يعرف به فهم القرآن لتدبّرمعانيه واستخراج أحكامه وأسراره للعمل بها.

ب- تعريف التّأويل لغة واصطلاحا:

- **لغة:** أوّل- يؤوّلُ – تَأويلاً أي فسّر وأوضح والتّأويل يأتي بمعنى التّفسير أو المآل.يقال: أوّل الأمر أي فسّره وكشف عنه ويقال كذلك: آل إليه الأمر أي صار إليه.

---

1 البرهان للزّركشي

- **إصطلاحا:**التّأويل هو التّفسير في ذاته ومعناه أو هو ترجيح بعض المعاني المحتملة من الآية الكريمة الّتي تحتمل عدّة معان.

وقد دَقّقَ في مَفْهُومَيْ التّفسير والتّأويل العلاّمة **محمّد علي الصّابوني** المفسّر المعاصر وصاحب تفسير **" صفوة التّفاسير "** بقوله:**" إنّ التّفسير هو المعاني الظّاهرة من القرآن الكريم الّتي هي واضحة الدّلالة على المعنى المراد لله عزّ وجلّ...و التّأويل هو المعاني الخفيّة الّتي تستنبط من الآيات الكريمة والّتي تحتاج إلى تأمّل وتفكّر واستنباط والّتي تحتمل عدّة معان فيرجّح المفسّر منها ما كان أقوى عن طريق النّظر والاستدلال "**[1].

3-نشأة علم التّفسير وتطوّره وعناية العلماء به

أ- نشأة علم التّفسير وتطوّره:

نشأ التّفسير مبكّرا في عهد النّبي الّذي كان أوّل مفسّر لكتاب الله فكان عليه الصّلاة والسّلام يبيّن للنّاس ما كان ينزل عليه من وحي حسب الظّروف والمناسبات.

ولمّا انتقل رسول الله إلى الرّفيق الأعلى حرص الصّحابة – رضوان الله عليهم – الّذين تربّوا في مدرسة النّبوة والّذين اهتدوا بهديه صلّى الله عليه وسلّم وشاهدوا الوحي والتّنزيل – على الوقوف على أسرار كتاب الله وأحكامه الشّرعيّة لتطبيقها في حياتهم وإبلاغها إلى معاصريهم.

ثمّ تلقّف أقوال الصّحابة، التّابعون في جميع الأمصارالإسلاميّة فنشأت في مكّة طبقة للمفسّرين وأخرى في المدينة وثالثة في العراق.

و عن التّابعين، أخذ تابعوالتّابعين، فجمعوا أقوال من سبقهم وصنّفوا التّفاسيرو دوّنوها.و كانوا بذلك إرهاصا للمفسّر الجليل **محمّد بن جرير الطّبري**(المتوفّى سنة 310 هـ) وهو صاحب التّفسير المشهور: **"جامع البيان في تفسير القرآن "** الّذي يعتبر العمدة لجميع المفسّرين الّذين جاؤوا من بعده إلى يوم النّاس هذا.

1التبيان في علوم القرآن للصابوني ص 63

ب- شرف علم التّفسير وعناية العلماء به:

إهتمّ العلماء من بلغاء وفصـــحاء وفقهاء ومفسّرين بهذا العلم الجليل – **علم التّفسير**–واعتبروه علم علوم القرآن المجيــد لأنّ موضوعه هو تدارس كتاب الله من جميع الوجوه للوقوف على حـكمه وأحكامه للعمل بها لبلوغ السّعادة في الدّارين. وعلى هذا الأســاس تنوّعت وتعدّدت التّصانيف والتّفاسير والّتي سيأتي ذكر أبرزها في مبحث لاحق.

وقــد بيّــن **الإمام السّيوطي** في كتـــابه " **الاتقـــان في علوم القرآن** " شرف علـــم التّفسير بقـــوله:" **التّفسير من أجلّ علوم الشّـريعة وأرفعها قدَرًا، وهو أشـــرف العـلوم مـوضوعا وغرضا وحـاجة إليه، لأنّ موضوعه كلام الله تعالى الّذي هو ينبوع كلّ حكمة ومعدن كل فضيلة، ولأنّ الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السّعادة الحقيقيّة، وإنّما إشتدّت الحاجة إليه لأنّ كلّ كمال دينيّ أو دنيويّ لا بدّ وأن يكون موافقا للشّرع، وموافقته تتوقف على العلم بكتاب الله**"[1].

كــذلك أوضح الشّيخ**عبد الرّحمان السّعدي** صاحب تفسير " **تيسير الكـــريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان** ". وهو مفسّر معاصر – فضل هذا العلم قائلا:" **إعلم أنّ عـــلم التّفسير أجلّ العـلوم على الإطـــلاق، وأفضلها وأوجبها، وأحبّها إلى الله، لأنّ الله أمر بتدبّر كـــتابه، والتفكّر في معانيه، والاهتداء بآياته، وأثنى على القائمين بذلك، وجعلهم في أعلى المراتب، ووعدهم أسنى المواهب، فلو أنفق جـــواهر عمره في هذا الفنّ، لـم يكـــن ذلك كثيرا في جنب ما هو أفضل المطالب وأعـظم المقاصد، وأصل الأصول كلّها وقـاعدة أساس السّعـــادة فـــي الدّارين وصلاح أمور الدّين والدّنيا والآخرة، وبه يتحقّق للعبد حياة زاهرة بالهدى والخير والرّحمة،و يهيّء الله له أطيب الحياة والباقيات الصّالحات** "[2].

4- أنواع التّفاسير وأقسامها

إتّجه العلماء والمفسّرون في تفاسيرهم إتّجاهات كثيرة ومتنوّعة، ويمكن تقسيم التّفاسير حسب الإصطلاح العلميّ الدّقيق إلى ستّة أقسام وهي:

1الاتقان ج 2 ص 175
2القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي ص 3

أ- القسم الأوّل: التّفسير بالرّواية أو التّفسير بالمأثور أو بالمنقول:

التّفسير بالمأثور هو الّذي يعتمد على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنّة لأنّها جاءت مبيّنة لكتاب الله أو بما روي عن الصّحابة لأنّهم أعلم النّاس بكتاب الله أو بما قاله كبار التّابعين لأنّهم تلقّوا ذلك غالبا عن الصّحابة.

- **مثال تفسير القرآن بالقرآن:**كقوله تعالى:**"وَالسَّمَاءِوَالطَّارِقِ(1)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ(2)"**.[1]

جاء تفسير **"الطَّارِق"** في نفس السّورة في قوله تعالى: **" النَّجْمُ الثَّاقِبُ"**[2].

- **مثال تفسير القرآن بالسنّة:**كقوله تعالى:**" الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ "**.[3]فعن **ابن مسعود**رضي الله عنه قال: لمّا نزلت هذه الآية، شـــقّ ذلك على النّاس فقالوا: يا رسول الله وأيّنا لا يظلـم نفسه ؟ قال رسول الله:**" إنّه ليس الّذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصّالح**(المقصود به لقمان)**"إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "**[4]**، " إنّما هو الشّرك "**.

- **مثال تفسير القرآن بالمأثور عن الصّحابة:** كقوله تعالى:**" إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ "**[5].فعن **عبد الله بن عباس**رضي الله عنه– وهو حبر الأمّة ومن كبار الصّحابة قال:**"الْكَوْثَرَ : الخير الكثير "**[6].

- **مثال تفسير القرآن بالمأثورعن التّابعين:**كقوله تعالى:**"يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (4)"**[7].

فعن **قتادة بن دعامة**رضي الله عنه – وهو من كبار التّابعين قال:**"عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" أي على طريق لا إعوجاج فيه من الهدى وهوالإسلام"**[8].

---

1 سورة الطارق : 1-2
2 سورة الطارق : 3
3سورة الأنعام : 82
4سورة لقمان : 13
5 سورة الكوثر: 1
6 "البحر المحيط" لأبي حيان ج 8 ص519
7 سورة يس: 1-4
8 "تفسير القرطبي"ج 5 ص 15

قال **الحافظ عماد الدّين إسماعيل بن كثير** في مقدّمة تفسيره **" تفسير القرآن العظيم ":" وحينئذ إذا لم نجد التّفسير في القرآن ولا في السنّة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصّحابة، فإنّهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال الّتي إختصّوا بها، ولما لهم من الفهم التّام والعلم الصّحيح والعمل الصّالح ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الرّاشدين، والأئمّة المهتدين المهديّين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ".**

و يمكن القول أنّ التّفسير بالمأثور يعتبر من أفضل وأجود أنواع التّفاسير إذا صحّ سنده إلى رسول الله أو إلى الصّحابة أو إلى التّابعين.

لكن ينبغي التّثبّت من سند الرّوايات لأنّه للأسف سرت إلى بعض التّفاسير روايات مكذوبة من زنادقة النّصارى واليهود والفرس وهي ما تعرف بالإسرائيليات كالّذي روي عن **عبد الله بن سلام وكعب الأحباروهب بن منبّه وعبد الملك بن جريح...**

و قد كان الصّحابة والتّابعون يتحرّون في الرّوايات ويتوقّفون إزاء ما يسمعون من اليهود والنّصارى والفرس إمتثالا.

يقول **الرّسول صلّى الله عليه وسلّم:" لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا "**[1].و قول **رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:" بلّغوا عنّي ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج (أي حدّثوا عن بني إسرائيل بما تعلمون كذبه) ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النّار"**[2].

ب- القسم الثّاني:التّفسير بالدّراية أو التّفسير بالرّأي أو المعقول :

التّفسير بالرّأي هو ما يعتمد فيه المفسّر في بيان المعنى على فهمه الخاصّ واستنباطه بالرّأي المجرّدأو هو الإجتهاد المبنيّ على أصول صحيحة وقواعد سليمة متّبعة، يجب أن يأخذ بها من أراد الخوض في كتاب الله، وليس المراد به مجرّد **"الرّأي"** أو مجرّد **"الهوى"**.

1رواه البخاري
2 رواه البخاري

يــقول المفسّر**محمّد بن أحمد القرطبي** صاحب تفسير **"الجامع لأحكام القرآن":"مــن قال في القرآن بما سنــح في وهمه أو خطـر على باله من غير إســتدلال عليه بالأصـــول فهو مخطيء مذموم، وعليه يحمل الحديث الشّريف: "من كذب علي متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النّار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النّار"**[1].

إذن ينبغي على المفسّر بالرّأي أن يعتمد في إجتهاده على أساليب اللّغة العربيّة وإدراك العلوم الضّروريّة كعلم التّوحيد وعلوم البلاغة والنّحو والصّرف وعلم الفقه وأصول الفقه وعلـوم الحديث ومقاصد الشّــريعة وغيرها...ليكون إجتهاده صائبا.

التّفســير بالرّأي إذن إمّــا أن يكـون **مــحمودا** إذا كـــان مــوافقا لغـرض الشّـــارع (وهو الله)و مقــاصد شرعه بعيدا عن الجهالة والضّلالة،و إمّــا أن يـكون **مــذموما** إذا كــان منــبعثا عــن مجرّد **" الرّأي"** ومجرّد **"الهوى"** قـــائما عن الجهالة والضّلالة.

قـــال **شيخ الإسلام الإمام الغزالي** صاحب **"إحياء علوم الدّين":" إنّ في فهم معاني القرآن مجالا رحبا، ومتّسعا بالغا، وإنّ المنقول من ظاهر التّفسير، ليس منتهى الإدراك فيه، فبطُل أن يشترط السّماع في التّأويل، وجاز لكلّ واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحدّ عقله..."**[2].

و قــد ظهر هذا النّوع من التّفــسير– **التّـفسير بــالرّأي** – لمّا إتّسعت العلوم وتشعّبت فروعها...و أثيرت المسائل الكلاميّة، واختلطت العلوم النّقلية بالعلوم العقليّة وطفح على السّطح التّعصب المذهبي للفرق والملل والنّحل...

و هكذا أصبحت كتــب التّفــاسير تحمل في طيّاتها الغثّ والسّمين، والنّافع والضّارو الصّحيح والمكــذوب...وبذلك طغى في هذه المرحلة التّفسير بالرّأي على التّفسير بالمأثور.ثــمّ تدرّج التّفسير في العــصور المتعــاقبة فظهرت أنواع أخرى من التّفاسير: كالتّفسير المذهبي والتّفسير الإشاري والتّفسير الفقهي والتّفسير المعاصر.

1رواه الترمذي
2 الإحياء ج 3ص 36

ت- القسم الثّالث:التّفسير المذهبي أو تفسير الفرق والمذاهب :

التّفسير المذهبي هو ما يعتمد فيه المفسّر في بيان الآيات والسّورالقرآنيّة على رأيه الخاصّ واستنباطه الذّاتي، فيحمّل الآيات والسّور ما لا تتحمّلها إنتصارا لمذهبه، وردّا على خصومه.

و هذا النّوع من التّفسير يدخل في النّوع المذموم لأنّ أصحابه لم يؤلّفوا تفاسيرهم إلاّ تأييدا لأهوائهم أو إنتصارا لأذواقهم وسندا لفرقهم الّتي ينتسبون إليها.

و من الفرق والمذاهب والملل والنّحل نذكر:**المعتزلة والشّيعةو الخوارج والمرجئة والجهميّة...**

- **المعتزلة ومثال للتّفسير الإعتزالي:**

المعتزلة أو القدرية:هي فرقة كلاميّة أنشأها **واصل بن عطاء** (تـ131هـ). سمّوا بالمعتزلة لإعتزالهم حلقة **الحسن البصري**(تـ110هـ) عندما اختلفوا في مرتكب الكبيرة فقالوا عنه:**"لا هو مؤمن ولا هو كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين"**.و تبعا لقاعدتهم المشهورة:"الحسن ما حسّنه العقل والقبيح ما قبّحه العقل"، فإنّ تفاسيرهم يغلب عليها الطّابع العقليّ، ونادرا ترد فيها النّصوص النّبويّة.

وخير من يمثّل هذه النّزعة العقليّة في التّفسير المفسّر**محمود بن عمر الزّمخشري**(توفي 538 هـ) صاحب تفسير **" الكشّاف "** الّذي يمتاز بإيراد النّكات البلاغيّة وتحقيق بعض وجوه الإعجاز بطريق **الفنقلة** (أي إن قلت قلت).

❖ **وهذا نموذج من تفسيره**.قال **الزّمخشري** في بيان قوله تعالى: **" خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"**[1]. فإن قلت: لم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه يدّل على فعل القبيح...بدليل قوله تعالى:**" مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ"**[2]

---

1 سورة البقرة: 7
2 سورة ق :29

وقوله:" **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**"[1]و قوله: " **قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**"[2]...إلخ...

❖ ثمّ أوّل إسناد الختم إلى الله بأنّ الكلام إستعارة أو مجاز، على معنى أنّ الشّيطان هو الخاتم أو الكافر، وأسند إلى الله تعالى لأنّه هو الذي أقدره ومكّنه"[3].

- **الشّيعة ومثال للتّفسير الشّيعي:**

أما **الشّيعة** فهم فرق عديدة تشيّعوا لعليّ كرّم الله وجهه وأسرفوا في حبّه، وإعتقد بعضهم أنّ الخلفاء الثّلاثة:**أبا بكر وعمر وعثمان** رضي الله عنهم، سلبوا عليّا حقّه في الخلافة لأنّه من آل البيت.

ومن هذه الفرق الشّيعيّة من يجيز **البَدَاءَ** على الله بمعنى أنّه سبحانه يجوز له أن يريد أن يفعل شيئا ثمّ يبدو له أن لا يحدثه تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.ومنهم الباطنيّة المحرّفون للشّريعة وغيرهم.

❖ **وهذا نموذج من تفسيراتهم:**فهم يفسّرون قوله تعالى:" **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**"[4] بقولهم:" **أشرقت الأرض بنور الإمام عليّ رضي الله عنه** ".

ث- القسم الرّابع: التّفسير بالإشارة أو التّفسير الإشاري أو التّفسير الباطني أو الصّوفي:

التّفسير الإشاري هو ما يعتمد فيه المفسّر في بيان الآيات والسّورالقرآنيّة على الباطن، وأصحاب هذا النّوع من التّفسير يقولون:" **إنّ القرآن له ظاهر وباطن** ". فكلّ آية من آيات القرآن لها معنى ظاهر ومعنى باطن.

و **الظّاهر** هو الذي ينساق إليه الذّهن قبل غيره، و**الباطن** هو ما وراء ذلك من إشارات خفيّة تظهر إلاّ لأهل السّلوك الرّباني.

و هذا النّوع من التّفسير – **التّفسير الإشاري** – إذا أوغل وبالغ في استنباط الإشارات الخفيّة صار ضربا من التّجهيل، ولكنّه إذا كان إستنباطا

---

1 سورة الزخرف : 76
2 سورة الأعراف : 28
3 الكشّاف للزّمخشري ج 1 ص28
4 سورة الزمر : 69

حسنا يوافق مقتضى ظاهر اللّغة العربيّة وأساليبها، وكان له شاهد يشهد لصحّته من غير معارض له فإنّه يكون مقبولا.

- ❖ **وهذا نموذج من التّفسير الإشاري:** فسّر بعضهم قوله تعالى: **"الـــم"**[1] فقالوا:
  - معنى **ألف**: ألف الله محمّدا فبعثه نبيّا
  - معنى **لام**: لامه الجاحدون وأنكروه
  - معنى **ميم**: ميم الجاحدين المنكرين، من المُوم بالضّم وهو البرسام علّة يهذى المعلوم فيها.
- ❖ **وهذا نموذج آخر:**و فسّر بعضهم قوله تعالى:**"الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا"**[2]فقالوا:**"يعني من إبراهيم نارا أي نورا هو محمّدو أضافوا:" فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ"**[3]**. أي يقتبسون الدّين".**[4]

ج- القسم الخامس:التّفسير الفقهي أو تفسير آيات الأحكام الواردة في القرآن:

التّفسير الفقهي هو الّذي يعتمد فيه المفسّر على بيان آيات الأحكام الشّرعيّة فقط الواردة في القرآن الكريم. والمفسّر من هذا النّوع لا يفسّر القرآن كلّه، بل يقتصر تفسيره إلاّ على آيات الأحكام لتوضيح مذهبه الفقهي والإنتصار له وتأييده.

و في هذا النّوع من التّفسير – **التّفسير الفقهي** – يمكن أن يشتدّ التّعصب للمذهب الفقهي فيه أحيانا ويخفّ أحيانا ويكون موضوعيّاو مقبولا أحيانا أخرى.و قد تتابع هذا المنهج المسمّى بالتّفسير الفقهي إلى العصر الحديث. ومن **أشهر التّفاسير الفقهيّة** نذكر:

- **"أحكام القرآن"** للمفسّر**أحمد بن علي الجصّاص** (توفي 370 هـ وهو حنفي المذهب)
- **"الجامع لأحكام القرآن"** للمفسّر**محمّد بن أحمد القرطبي** (توفي 671 هـ) وهو مالكي المذهب

---

1 سورة البقرة :1
2 سورة يس : 80
3 سورة يس : 80
4 الإتقان ج2 ص186

- **"الإكليل في إستنباط التّنزيل"** للمفسّر**جلال الدّين السّيوطي**(توفي 911 هـ)وهو شافعي المذهب

ح- القسم السّادس:التّفسير المعاصر :

جاءت النّهضة في العصر الحديث فشملت شتّى العلوم: العلوم النّقلية والعلوم العقليّة والعلوم الطبيعيّة والعلوم الحسابيّة والعلوم الفلكيّة والعلوم الإنسانيّة والعلوم الشّرعيّة ومنها علم التّفسير...

و قد ألّف كثير من العلماء المعاصرين الأجلاّء مصنّفات وكتبا وتفاسير عدّة، وحـــاول كلّ مفسّر أن يجمع في تفسيره بين المنقول والمعقول وأن يوفّر حظّا لكل النّـــواحي البيانيّة منها والفقهيّة والتّربويّة والإجتماعيّة والإنسانيّة...و غيـــرها بدرجات متفاوتة.وظهرت كثـــير من التّفاسير القيّمة في عصرنا الحديث نشير إلى بعضها على سبيل الذّكر لا الحصر:

- **" تفسير المنار "** للشّيخ**محمّد رشيد رضا**
- **" التّفسير البياني للقرآن الكريم "** للدكتورة **عائشة عبد الرّحمان**
- **" التّحرير والتّنوير "** للشّيخ**محمّد الطّاهر بن عاشور**
- **" صفوة التّفاسير "** للشّيخ**محمّد علي الصابوني**
- **" المصحف المفسّر "** للشّيخ**محمّد فريد وجدي**
- **" في ظلال القرآن "** للشّيخ**سيد قطب**
- **"تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان "** للشّيخ**عبد الرحمان السّعدي**...

و صفوة القول:يبقـــى التّفسير – في تقديرنا – الجامع لحسن الإستنباط وسعة الثّقافة، الشّامل للمنـــقول والمعقول، المعتمد على الأسلوب المنهجيّ والموضوعيّ الواضح هو أفضل التّفاسير لأنّه يؤدّي إلى بيان ما جاء في كتاب الله العزيز من نصح وتوجيه وهداية وإرشاد وحكم وأحكام شرعيّة يسعد بها كل فرد في دنياه وأخراه.

و يُلخّص ويُؤيّد ما قلنا **الدّكتور صبحي الصّالح** حيث قال:**"التّفسير بالمأثور إذا إجتمع إليه حسن الإستنباط، وسعة الثّقافة والمقدرة على التّرجيح هو أولى التّفاسير بالإعتبارو نحن مع ذلك لا ننصح بالإقتصار عليه، فلا بدّ لنا لتأويل الآية**

أو الآيات من الرّجوع إلى مختلف التّفاسير،ثمّ نحاول أن نختار لأنفسنا أصلح الآراء فيها، إلاّأن يثبت لنا على وجه القطع أثرٌ صحيح فـي الموضوع فنأخذ به ونطرح ما عداه، إذ لا مسوّغ للإجتهاد في مورد النّص."[1]

5-شروط المفسّر وآدابه

أ- شروط المفسّر:

لقد ذكر العلماء شروطا أساسيّة للمفسّر نجملها فيما يلي:

- صحّة الإعتقاد والتّجرّد من أهواء النّفس لأنّ الهوى يدفع صاحبه إلى نصرة مذهبه والتّعصب إليه
- العلم والدّراية باللّغة العربيّة وأساليبها وخاصّة علم المعاني والبيان والبديع لأنّ العربيّة هي لغة القرآن الكريم.
- العلم والمعرفة بأصول العلوم المتّصلة بالقرآن كعلم التّوحيد والفقه وأصول الفقه، وعلم النّاسخ والمنسوخ وعلم أسباب النزول... وغيرها.
- الإطّلاع على العلوم النّقلية والعقليّة وعلوم العصر وغيـرها من العلوم الّتي تفيد المفسّر في إجتهاداته.
- البدء بتفـسير القرآن بالقرآن ثمّ تفسير القرآن بالسنّة الصّحيحة ثمّ الرّجـوع إلى أقوال الصّحابة والتّابعين ثمّ الإجتـهاد على ضوئها، فهو أسلم منهج لتفسير كتاب الله.
- التّحـري والأناة والتثبّت من صحّة الرّوايات والأسانيد الّتي يعتمد عليها في تفسيره.
- رجـاحة العقل ودقّة الفهـم لترجيـح معنى على آخر أو استنبـاط معنى يتّفق مع الكتاب والسنّة ولا يتضارب معها.

ب- آداب المفسّر:

كذلك لا بدّ أن يتحلّى المفسّر بجملة من الآداب والخصال الحميدة نذكرها إجمالا:

- إخلاص النّية وحسن القصد أدب رفيع، يجب أن يتحلّى به المفسّر لبلوغ مقاصد الشّرع في تفسيره كما أرادها الله.

1"مباحث في علوم القرآن" لصبحي الصّالح ص 298

- حسن الخلق والتأدّب مع الغيرتجعل المفسّر قدوة حسنة يؤخذ بعلمه وإجتهاده
- التّواضع ولين الجانب وعزّة النّفس والجهر بالحقّ...

كلّها خصال حميدة تزيد من هيبة المفسّر ووقاره والثّقة فيه وفي علمه...

المبحث الرّابع

طبقات المفسّرين وأشهر تفاسيرهم

1- تمهيـــــــــــــــد

2- مشاهير المفسّرين بالمأثور وأشهر تفاسيرهم

أ- أشهر المفسّرين من الصّحابة

ب- أشهر المفسّرين من التّابعين

ت- أشهر المفسّرين بالمأثور بداية من القرن 3 هـ و4 هـ

3- مشاهير المفسّرين بالرّأي بداية من القرن 5 هـ

4- مشاهير المفسّرين حسب الفرق والمذاهب

5- أشهر المفسّرين بالإشارة

6- مشاهير المفسّرين لآيات الأحكام

7- أشهر المفسّرين المعاصرين

8- تراجم لبعض مشاهير المفسّرين والتّعريف بتفاسيرهم

- ❖ التّفسير في عهد الصّحابة: عبد الله بن عبّاس
- ❖ التّفسير في عهد التّابعين: مجاهد بن جبر
- ❖ التّفسير بالمأثور:محمّد بن جرير الطبري
- ❖ التّفسير بالرّأي: فخر الدّين الرّازي
- ❖ التّفسير المذهبي: محمود بن عمر الزّمخشري
- ❖ التّفسيربالإشارة: شهاب الدّين محمّد الألوسي
- ❖ التّفسير الفقهي:محمّد بن أحمد القرطبي
- ❖ التّفسير المعاصر:محمّد الطّاهر بن عاشور

المبحث الرّابع

طبقات المفسّرين وأشهر تفاسيرهم

1- تمهـــــيد

تزخر المكتبة الإسلاميّة بعدد كبير من التّصانيف والكتب في شتّى أنواع التّفاسير – التّفسير بالمأثور والتّفسير بالرّأي والتّفسير المذهبي والتّفسير بالإشـــارة والتّفسير الفقهي والتّفسير المعـــاصر – لعدد كبير من المفسّرين قدامى ومحدثين.

و فـــي هذا المبحـــث سنحـــاول تقديم بسطة – ولو مـــوجزة – للتّعريف بمشاهير المفسّرين ومصنّفاتهم عبر العصور.

2- مشاهير المفسّرين بالمأثور وأشهر تفاسيرهم

أ- أشهر المفسّرين من الصّحابة:

عايش الصّحابة رسول الله فنهلـوا من مـــدرسة النّبوّة ما جعلهم يدركون معـــاني القرآن المجيد وأحكامه لأنّـــه نـــزل بلغتهم ولكنّهم كانوا يتفاوتون في حفظ القرآن وفي فهم آياته وسوره.

وقد إعتبر **الإمـــام السّيوطي** في كتابه **" الإتقـــان"** أنّ مـــن أشـــتهر بالتّفسير مـــن الصّحـــابة عشرة فقال:**" إشتهر بالتّفسير من الصّحابة عشرة: الخلفاء الأربعة وابن مسعود، وابن عباس،و أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري...أمّا الخلفاء فأكثر من روي عنه فهو عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، والرّواية عن الثّلاثة قليلة جدّا، وكأنّ السّبب في ذلك تقدّم وفاتهم".**

و الجدير بالإشارة أنّ التّدوين لم يكن إلاّ في القرن الثّاني للهجرة (2 هـ)، لذلك كانت التّفسيرات الّتي تروى عن الصّحابة منثورة هنا وهناك في كتب التّفسير بالمأثور من غير ترتيب وتبويب، وقد تفاوتت درجتها من السّند صحّة وضعفا.

ب- أشهر المفسّرين من التّابعين:

كثر المفسّرون من التّابعين وذاع صيتهم، وعنهم نقل المفسّرون بالمأثور من بعدهم آراءهم في تفاسيرهم ويمكن تصنيف المفسّرين من التّابعين إلى ثلاث طبقات:

- **طبقة أهل مكّة:**وقد أخذوا علومهم عن شيخ المفسّرين وترجمان القرآن وحبر الأمّة الصّحابي الجليل **عبد الله بن عبّاس** وعلى رأسهم: مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عبّاس وطاووس بن كيسان اليماني وسعيد بن جبير...
- **طبقة أهل المدينة:**وقد إشتهر منهم خاصّة:محمّد بن كعب القرظي وأبو العالية الرّياحي وزيد بن أسلم....
- **طبقة أهل العراق:**و من أشهرهم: الحسن البصري ومسروق بن الأجدع وقتادة بن دعامة وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ومُرّة الهمداني...

قال **الإمام السّيوطي** في كتابه " **الإتقان** " بعد أن ذكر أشهر المفسّرين من التّابعين ما نصّه:" **فهؤلاء قدماء المفسّرين، وغالب أقوالهم تلقّوها من الصّحابة،ثمّ بعد هذه الطبقة ألّفت تفاسير تجمع أقوال الصّحابة والتّابعين، كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجرّاح وشعبة بن الحجّاج ويزيد بن هارون وآخرين.ثمّ جاء بعدهم ابن جرير الطّبري وكتابه أجلّ التّفاسير وأعظمها "**[1].

ت- مشاهير المفسّرين بالمأثور بداية من القرن 3 هـ و4هـ:

في القرن الثّالث والرّابع للهجرة ظهرت طبقة من المفسّرين الأجلاء الّذين أفردوا التّفسير بالتّأليف وجعلوه قائما بنفسه، منفصلا عن الحديث، وفسّروا القرآن كاملا حسب ترتيب المصحف ومن أبرز هؤلاء:

- **ابن ماجه** المتوفّى سنة 273 هـ صاحب **"تفسير ابن ماجه"**

---

1 **"الإتقان" للسيوطي ج2 ص190**

- **محمّد بن جرير الطّبري** المتوفّى سنة 310 هـ وصاحب تفسير **"جامع البيان في تفسير القرآن"** وهو عمدة التّفسير بالمأثور ومن أفضل وأجلّ التّفاسير.
- **أبو بكر بن المنذر النّيسابوري** المتوفّى سنة 318 هـ، صاحب **"تفسير النّيسابوري"**
- **ابن أبي حاتم** المتوفّى سنة 327 هـ، صاحب **"تفسير ابن أبي حاتم"**
- **نصر بن محمّد السّمرقندي** المتوفّى سنة 373 هـ، صاحب تفسير **" بحر العلوم "**
- **الحسن بن مسعود البغوي** المتوفّى سنة 510 هـ، صاحب تفسير **" معالم التّنزيل "**
- **عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي** المتوفّى سنة 546 هـ، صاحب تفسير **" المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز "**
- **عماد الدّين بن كثير الدّمشقي** المتوفّى سنة 774 هـ، صاحب تفسير **"تفسير القرآن العظيم"**
- **عبد الرّحمان الثّعالبي** المتوفّى سنة 876 هـ، صاحب تفسير **"الجواهر في تفسير القرآن"**
- **جلال الدّين السّيوطي**المتوفّى سنة 911هـ صاحب تفسير **"الدّرّالمنثورفي التّفسير بالمأثور"**...

3- مشاهير المفسّرين بالرّأي بداية من القرن 5 هـ

في هذه المرحلة وبعد مرحلة التّفسير بالمأثور ظهر مفسّرون إعتمدوا خاصّة على فهمهم وإستنباطهم لتفسير القرآن الكريم.وقد إشتهر من المفسّرين بالرّأي:

- **محمّد بن عمر الرّازي** المتوفّى سنة 606 هـ، وصاحب تفسير **"مفاتيح الغيب"**
- **عبد الله بن عمر البيضاوي** المتوفّى سنة 685 هـ صاحب تفسير **"أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل"**
- **عبد الله النّسفي** المتوفّى سنة 701 هـ، صاحب تفسير **" مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل "**
- **نظام الدّين الحسن محمّد النّيسابوري** المتوفّى سنة 728 هـ، صاحب تفسير **"غرائب القرآن ورغائب الفرقان"**

- **عبد الله بن محمّد المعروف بالخازن** المتوفّى سنة 741 هـ، صاحب تفسير **" كتاب التّأويل في معاني التّنزيل "**
- **محمّد بن يوسف بن حيّان الأندلسي** المتوفّى سنة 745 هـ، صاحب تفسير **" البحر المحيط "**.
- **جلال الدّين المحلّي** المتوفّى سنة 864 هـ و**جلال الدّين السّيوطي** المتوفّى سنة911 هـ صاحبا تفسير **"تفسير الجلالين "**
- **محمّد بن محمّد الطّحاوي** المتوفّى سنة 952 هـ**المعروف بأبي السّعود،** صاحب تفسير **"إرشاد العقل السّليم "**
- **محمّد الشّربيني الخطيب** المتوفّى سنة 977 هـ، صاحب تفسير **"السّراج المنير"**...

4- مشاهير المفسّرين حسب الفرق والمذاهب

هذا الصّنف من المفسّرين فسّروا القرآن الكريم حسب آرائهم وأهوائهم إنتصارا لمذاهبهم وردّا على خصومهم.و من أشهر هؤلاء:

- **الحسن بن علي العادي العسكري** المتوفّى سنة 260 هـ، وهو شيعي المذهب وصاحب تفسير**" تفسير العسكري"**.
- **عبد الجبّار بن أحمد الهمداني** المتوفّى سنة 415 هـ وهو معتزلي المذهب وصاحب تفسير **" تنزيه القرآن عن المطاعن "**
- **علي بن أحمد الحسين المعروف بالشّريف المرتضى** المتوفّى سنة 436 هـ وهو معتزلي المذهب وصاحب تفسير **" أمالي الشّريف المرتضى "**
- **محمود بن عمر الزّمخشري** المتوفّى سنة 538 هـ وهو معتزلي المذهب وصاحب تفسير**"الكشّاف"**
- **الفضل بن الحسن البطرسي** المتوفّى سنة 538 هـ وهو شيعي المذهب وصاحب تفسير **" مجمع البيان"**
- **عبد اللطيف الكازراني،** وفاته غير معروفة وهو شيعي المذهب وصاحب تفسير **" مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار"**
- **محمّد بن الشّاه مرتضى الكاشي** المتوفّى سنة 1090 هـ وهو شيعي المذهب وصاحب تفسير **" الصّافي في تفسير القرآن"**

- **عبــد الله بن محمّد العلوي** المتــوفّى سنة 1242 هـ وهـو شـيعي المـذهب وصــاحب تفسير **"تفسير القرآن"**
- **سلطان محمّد بن حيدر الخراساني** المـتوفّى سنة 1315 هـ وهــو شيعي المذهبو صاحــب تفسير **" بيـان السّعادة "**...

5- أشهر المفسّرين بالإشارة

وهذا النّوع من المفسّرين يعتقدون أنّ للقرآن ظاهرا وباطنا وأنّ الظّاهر يصل إليه العامّة أمّا الباطن فلا يصل إليه ولا يهتدي إليه إلاّالخاصّة أي أهل السّلوك الرّباني.

ومن مشاهيرهم نذكر:

- **سهل بن عبد الله التّستري** وفاته غير معروفة وصاحب تفسير **" تفسير القرآن الكريم "**
- **أبو عبد الرحمان السّلمي** وفاته غير معروفة وصاحب تفسير **" حقائق التّفسير "**
- **أحمد بن إبراهيم النّيسابوري** المتوفّى سنة 427 هـ وصاحب تفسير **" الكشف والبيان"**
- **محيي الدّين بن عربي**وفاته غير معروفة صاحب تفسير**" تفسير ابن عربي"**
- **شهاب الدّين محمّد الألوسي** المتوفّى سنة 1270 هـ، صاحب تفسير **" روح المعاني "**

6- مشاهير المفسّرين لآيات الأحكام

وقد إعتمد هؤلاء المفسّرون في تفاسيرهم إلاّ على آيات الأحكام الواردة في القرآن وتناولوها بالشّرح والبيان والتّفسير ومن هؤلاء نذكر:

- **أحمــد بــن عــليّ الجــصّاص** المــتوفّى سنـــة 370 هـ وهو حـنفيّ المـذهب وصــاحب تــفسير **"أحكام القرآن"**
- **عــلي بــن محــمّد الهــراسي** المتــوفّى ســنة 504 هـ وهــو شــافعيّ المـذهب وصـاحب تفـسير **"أحكام القرآن"**
- **محمّد بــن عــبد الله ابن العربي الأنــدلسي** المـتوفّى سنة 543 هـ وهــو مــالكـــي الــمــذهب وصاحب تفسير **"أحكام القرآن"**

- **محمّد بـن أحمـد القرطبي** المـتوفّى سنة 671 هـ وهـو مـالكي المـذهب وصـاحب تفـسير **" الجامع لأحكام القرآن "**
- **يوسف بن أحمد الثّلاثي** المتـوفّى سنة 832 هـ وهـو زيدي المذهب (شيعي) وصاحـب تفسير **" الثمّرات اليانعة"**
- **جـلال الـدّين السّيوطي** المتـوفّى سـنة 911 هـ وهـو شـافعـي المـذهب وصـاحـب تـفسير **" الإكليل في إستنباط التّنزيل "**

7- أشهر المفسّرين المعاصرين

حاول المفسّرون المعاصرون أن يجمعوا فـي تفاسيرهم بين المنقول والمعقول مواكبة للعصر.و من مشاهير التّفسير المعاصر نذكر:

- **محمّد رشيد رضا**، صاحب تفسير **"تفسير المنار"**
- **أحمد مصطفى المراغي**، صاحب تفسير **" تفسير المراغي "**
- **جمال الدّين القاسمي**، صاحب تفسير **"محاسن التّأويل"**
- **السيد قطب**، صاحب تفسير **"في ظلال القرآن"**
- **محمّد محمود الحجازي**، صاحب تفسير **" التّفسير الواضح"**
- **طنطاوي جوهري**، صاحب تفسير **"تفسير الجواهر "**
- **عبد الجليل عيسى**، صاحب تفسير **"تيسير التّفسير"**
- **محمّد فريد وجدي**، صاحب تفسير **"المصحف المفسّر"**
- **أبو زيد الدّمنهوري**، صاحب تفسير **"الهداية والعرفان"**
- **حسين مخلوف**، صاحب تفسير **"صفوة البيان"**
- **صدّيق حسن خان**، صاحب تفسير **"فتح البيان"**
- **محمّد الطاهر بن عاشور**، صاحب تفسير **"التحرير والتنوير"**
- **عائشة عبد الرّحمان**، صاحبة تفسير **"التّفسير البياني للقرآن الكريم"**
- **محمّد علي الصّابوني**، صاحب تفسير **"صفوة التّفاسير"**
- **عبد الرّحمان السّعدي**،صاحب تفسير**"تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان"**
- **محمد المختار السلاّمي، صاحب تفسير "نهج البيان في تفسير القرآن"...**

8- تراجم لبعض مشاهير المفسّرين والتّعريف بتفاسيرهم

❖ التّفسير في عهد الصّحابة:عبد الله بن عباس

- **نسبه وحياته:**هو عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي وهو ابن عمّ رسول الله وأمّه أمّ الفضل لبابة بنت الحارث الهلاليّة. ولد في بني هاشم بالشّعب قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي بالطّائف سنة (68 هـ) على أرجح الأقوال.
- **منزلته العلميّة:**يعتبر ابن عبّاس رضي الله عنه من كبار الصّحابة وهو ترجمان القرآن وحبر الأمّة (أي عالمها) ورئيس المفسّرين للقرآن الكريم. فقد ورد في الصّحيح أنّ النّبي ضمّه يوما إليه وقال:**"اللّهمّ فقّهه في الدّين وعلّمه التّأويل"**.و أخرج البيهقي عن ابن مسعود وقال: **"نعم ترجمان القرآن ابن عبّاس"**.و أخرج أبو نعيم عن مجاهد قال:**"كان ابن عبّاس يسمّى البحر لكثرة علمه"**.و أخرج **بن سعد** بسند صحيح عن**يحي بن سعيد الأنصاري**: **"لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة:" مات حبر هذه الأمّة، ولعلّ الله أن يجعل في ابن عبّاس خَلفا "**.
- **تفسيره:**ورد عن ابن عبّاس في التّفسير ما لا يحصى كثرة، وجمع ما نقل عنه في تفسير مختصر يسمّى **" تفسير ابن عبّاس "**.كذلك المطّلع على كتب التّفسير بالمأثور خاصة يجد آراء واجتهادات ابن عبّاس مبثوثة بين طيّاتها.
- **شيوخه:** من **شيوخ ابن عبّاس**الّذين تعلّم عنهم بعد رسول الله، وكان لهم أثر كبير في تكوينه،الصّحابة الكرام:**عمر بن الخطّاب وأبيّ بن كعب وعليّ بن أبي طالب وزيد بن ثابت وغيرهم...**
- **تلاميذه:**تلقّى العلم عن **ابن عبّاس** كبار التّابعين الّذين نقلوا عنه علمه الغزيرو أشهرهم:**سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر الخزرمي وطاووس بن كيسان اليماني، وعكرمة مولى ابن عبّاس، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم...**

❖ التّفسير في عهد التّابعين:مجاهد بن جبر

- **نسبه وحياته:** هو مجاهد بن جبر المكيّ وكنيته **"أبو الحجّاج المخزومي"** وهو مولى السّائب بن أبي السّائب.ولد سنة (21 هـ) في خلافة عمر رضي الله عنه وتوفي سنة (103 هـ) على الأرجح.

- **منزلته العلميّة:**يعتبر مجاهد رأس المفسّرين من طبقة التّابعين، فكان أعلمهم بالتّفسير، وقد أخذ هذا العلم عن الصّحابي الجليل وحبر الأمّة عبد الله بن عبّاس. روى **الفضيل بن ميمون** عن مجاهد أنّه قال: **"عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاث عرضات، أقف عند كلّ آية منه أسأله عنها: فيم أنزلت؟ وكيف أنزلت ؟"**.وقال **سفيان الثّوري**: **"إذا جاءك التّفسير عن مجاهد فحسبك به "**.وقال **ابن تيميّة**:**"و لهذا يعتمد على تفسيره الشّافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم"**.و قال **ابن سعد**:**"كان ثقة فقيها عالما كثير الحديث"**.و قال **ابن حيّان**:**"كان فقيها ورعا عابدا متقنا"**.و قال **الذّهبيّ** في آخر ترجمته:**" أجمعت الأمّة على إمامة مجاهد والاحتجاج به وقال: قرأ عليه عبد الله بن كثير "**.كلّ هذه الشّهادات في التّابعي الجليل مجاهد بن جبر دالّة على مكانته العلميّة المتميّزة.
- **تفسيره:** أمّا آراؤه وتفسيراته للقرآن الكريم فهي متفرّقة في كتب التّفسير هنا وهناك.

❖ التّفسير بالمأثور:محمّد بن جرير الطّبري

- **نسبه وحياته:** هو محمّد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير الطّبري وكنيته **" أبو جعفر"** الآملي الأصل، البغدادي المولد والوفاة.ولد سنة (224 هـ) وتوفّي سنة عشر (310 هـ).
- **منزلته العلميّة:**كان عالما فذّا، كثير الرّواية، ذا بصيرة بالنّقل والتّرجيح بين الرّوايات، وله باع طويل في تاريخ الرّجال وأخبار الأمم. وقد صنّف كتبا عدّة أهمّها: **"جامع البيان في تفسير القرآن"**و **"تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم"** و**"الآداب الحميدة"** و**"الأخلاق النّفيسة"**و**"تاريخ الرّجال"** و**"اختلاف الفقهاء"** و**"تهذيب الآثار"**و**"كتاب البسيط في الفقه"**و**"الجامع في القراءات"** و**"كتاب التّبصير في الأصول"**...
- **تفسيره:** كتابه في التّفسير **"جامع البيان في تفسير القرآن"** يعتبر من أجلّ التّفاسير بالمأثور وأعظمها وأصحّها وأجمعها لأقوال الصّحابة والتّابعين وهو المرجع الأوّل للمفسّرين. قال **الإمام النّووي** في تهذيبه:**" كتاب ابن جرير في التّفسير لم يصنّف أحد مثله "**.

و يمتاز تفسيره بميزات عدّة نذكر منها إجمالا:

- إعتماده على المأثور من أقوال النّبي والصّحابة والتّابعين.

- عرضه للأسانيد وللأقوال المرويّة وترجيحه للرّوايات.
- إحاطته بالنّاسخ والمنسوخ من الآيات ومعرفته لطرق الرّوآية صحيحها وضعيفها.
- ذكره لوجوب الإعراب واستنباط الأحكام الشّرعيّة من الآيات الكريمة.

إلاّ أنّ**ابن جـرير الطّبري** يسوق في بعض الأحيان في تفسيره بعض الرّوايات ذات سند ضعيف الّتي تعرف بالإسرائيليات دون أن يتفطّن إليها.

و تفسيره " **جامع البيان في تفسير القرآن** " مطبوع ومنتشر في كلّ الأمصار والأقطار وهو كما قلنا عمدة أغلب المفسّرين.

و أكثر ما ينقل عنه المفسّر**عماد الدّين إسماعيل بن كثير الدّمشقي** (ولد سنة 705 هـ وتوفي سنة 774 هـ)الحافظ والمحدّث الشّافعي وصاحب التّفسير المشهور " **تفسير القرآن العظيم** ".

ويعتبر تفسـير **ابن كثيـر** من أجلّ التّفـاسير بالمـأثور الّذي يتميّز عن غيره من التّفاسير بالتّنبيه والتّحذير من الرّوايات الضّعيفة والمكذوبة والّتي تعرف بالرّوايات الإسرائيليّة. وتفسير ابن كثير لا يقلّ أهمّية وقيمة عن تفسير ابن جرير الطّبري.

❖ التّفسير بالرّأي: فخر الدّين الرّازي

- **نسبه وحياته:**هو محمّدبن عمر بن الحسن التّميمي البكري الطبرستاني الرّازي فخرالدّين**المعروف بابن الخطيب** الفقيه الشّافعي.ولد بالرّي سنة 543 هـ وتوفي بهراة سنة 606 هـ.
- **منزلته العلميّة:**درس العلوم النّقلية والعقليّة فتعمّق في الفلسفة والمنـطق وبـرز في علم الكلام. ولفخـر الدّين الرّازي تصـانيف كثيرة منها:" **مفاتيح الغيب**" في تفسير القرآن و"**أسرار التّنزيل وأنوار التّأويل**" في التّفسير كذلك و"**إحكـام الأحكام**" و"**المحصول**" في أصـول الفقه و"**البرهان**" فـي قراءة القرآن و"**درّة التّنزيل وغرّة التّأويل**" فـي الآيات المتشابهات و"**شرح الإشارات والتّنبيهات لابن سينا**"و"**شرح القـانون لابن سينا**"و"**إبـطال القـياس**"و"**البيـان والبرهان في الرّد على أهـل الزيغ**

والطّغيان"و**"محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين من الحكماء والمتكلّمين"** في علم الكلام و**"شرح المفصّل للزّمخشري"**...

- **تفسيره:**يعتبر تفسيراه **"مفاتيح الغيب"** و**"أسرار التّنزيل وأنوار التّأويل"** من أشهر الكتب في التّفسير بالرأي.وقد سلك الرّازي في تفسيره للقرآن الكريم مسلك الحكماء والفلاسفة والمناطقة لأنّه تأثّر أيّما تأثير بآرائهم وأفكارهم الواردة في كتبهم.

لـذلك رأى بعـض المحـقّقين أنّ تفسـير الرّازي خـرج به عـن معاني القرآن وروح آيـاتـه ومقاصده، وحمّل نصوص الكتـاب مـا لم تنزّل من أجـله، لهـذا **قـال بـعض العلماء** فـي تفسير الرّازي: **"فيه كلّ شيء إلاّالتّفسير"**

و ذهب فريق آخر من الدّارسين إلى أنّ تفسير الرّازي لا يخلو من فوائد، لأنّه صاغ أدلّة عقليّة في مباحث الإلاهيات، وردّ على المعتزلة والفرق الضّالة بالحجج الدّامغة،و تعرّض لشبهات المنكرين والجاحدين بالنّقض والتّفنيد.

وعلى هذا الأساس، يعتبر تفسيره من أوسع التّفاسير في علم الكلام، كما أنّه تكلّم في العلوم الطبيعيّة والكونيّة بشكل واسع، وكان غرضه نصرة الحـقّ وإقامة البراهين القاطعة علـى وجود الله عزّ وجلّ.

❖ التّفسير المذهبي: محمود بن عمر الزّمخشري

- **نسبه وحياته:**هو أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، وهو معتزلي العقيدة وحنفي المذهب.ولد بزمخشر – وهي قرية من قرى خوارزم سنة (467 هـ)و توفّي بجرجانية خوارزم بعـد رجـوعه من مكّة سنة (538 هـ).تلقّى العلم في بلاده ورحل إلى مـدينة بخارى في طلبه وأخذ الأدب عن شيخه منصور أبي مضرثمّ رحل إلى مكّة وجاور بها زمنا فقيل له **"جار الله محمود"**.
- **منزلته العلميّة:** يعتبر الزّمخشري إماما من أئمّة اللّغة والمعاني والبيان وهو صاحب حجّة في كثير من مسائل العربيّة وهو كذلك مفسّر للقرآن وله تصانيف عدّة أهمّها:**"الكشّاف"** في تفسير القرآن و**"الفائق"** في تفسير الحديث و**"المنهاج"** في أصول الفقه و**"رؤوس المسائل الفقهيّة"** في الفقه و**"المفصّل"** في النّحو و**" أساس البلاغة "** في اللّغة...

- **عقيدته ومنهجه:**الزّمخشري معتزلي العقيدة وحنفي المذهب الفقهي، يؤوّل الآيات وفق عقيدته ومذهبه ويسمّي المعتزلة " **إخوانه في الدّين ومن فضائل الفئة النّاجية العدليّة** ".
- **تفسيره:**يعتبر تفسيره **"الكشّاف"** من أشهر التّفاسير حسب الفرق والمذاهب وقد أورد فيه عقائد مذهب أهل الإعتزال وما قابلها من آراءو كان ناقلا لما جاء في تفاسير الألوسي وأبو السّعود والنّسفي وغيرهم.

قال **البلقيني** (توفي 824 هـ):" **إستخرجت من "الكشّاف" إعتزالا بالمناقيش** ".

و تفسير**الزّمخشري "الكشّاف"** مطبوع ومتواجد في المكتبات ومتداول بين الدّارسين و العلماء.

❖ التّفسير بالإشارة: شهاب الدّين محمّد الألوسي

- **نسبه وحياته:**هو شهاب الدّين محمّد الألوسي، الأديب والمفسّر والعالم وقد تقلّد الإفتاء ببغداد في بلاد العراق.توفي سنة (1270 هـ).
- **منزلته العلميّة:**الإمام الألوسي كان حجّة الأدباء، وقدوة العلماء، ومرجع أهل الفضل والعرفان،و كان رحمه الله دقيق الفهم وواسع الإطّلاع على كثير من العلوم.
- **تفسيره:**ألف الإمام **شهاب الدّين الألوسي** تفسيره وسماه **"روح المعاني"** وقد جمع فيه آراء السّلف رواية ودراية و قد إشتمل تفسيره كذلك على كثير من الإشارات الباطنيّة ووجوه البلاغة والبيان.و يمكن إعتباره أنّه جامع لخلاصة ما سبقه من التّفاسير بالرّواية (أي بالمأثور) وبالدّراية (أي الرّأي) وبالإشارة (أي الباطن).و **"روح المعاني"** مطبوع، وهو في متناول المتعلّمين والمعلّمين والعامّ والخاصّ.

❖ التّفسير الفقهي أو تفسير آيات الأحكام:محمّد بن أحمد القرطبي

- **نسبه وحياته:**هو أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي الأندلسي وهو مالكي المذهب الفقهي. توفي سنة (671 هـ).

- **منزلته العلميّة:الإمام القرطبي** يعتبر فقيها مالكيّا متميّزا ومفسّرا لكتاب الله، وعالما فذّا من علماء المالكيّة. له مصنّفات كثيرة أشهرها تفسيره **"الجامع لأحكام القرآن"**.
- **تفسيره:**كان المفسّر القرطبي في تفسيره للقرآن الكريم وخاصّة آيات الأحكام يذكر أسباب النّزول، ويعرض للقراءات والإعراب، ويشرح الغريب من الألفاظ، ويضيف الأقوال إلى قائليها، وينقل عن العلماء السّابقين الموثوقين أمثال: ابن جرير الطّبري وابن عطيّه وابن العربي والجصّاص وغيرهم...

و كان يفيض ويتوسّع في آيات الأحكام بصفة أخصّ فيذكر مسائل الخلاف ويسوق أدلّة كلّ رأي ويعلّق عليها دون التعصّب لمذهبه المالكي.

كذلك كان **الإمام القرطبي** يردّ على الفرق في المسائل العقائديّة كالمعتزلة والقدرية والرّوافض وغلاة المتصوّفة بأسلوب ليّن ومهذّب وقد كان تفسيره **"الجامع لأحكام القرآن"** مفقودا ثمّ تمكّنت دار الكتب المصريّة من الحصول عليه وطبعه، وبذلك تيسّر للباحثين والقارئين عموما الإطّلاع عليه والإنتفاع بما جاء فيه من علم نافع.

❖ التّفسير المعاصر:محمّد الطّاهر بن عاشور

- **نسبه وحياته:**هو محمّد الطّاهر بن محمّد بن محمّد الطّاهر بن عاشور التّونسي.ولد بالمرسى (ضاحية من ضواحي العاصمة التونسيّة) في جمادى الأولى سنة (1296 هـ) الموافق لشهر سبتمبر سنة (1879 م).
نشأ في بيئة علميّة في أحضان جدّه للأب الطّاهر بن عاشور، قاضي قضاة الحاضرة التونسيّة، وجدّه للأمّ الشّيخ محمّد العزيز بوعتّور.
وفي هذا الوسط الدّينيّ والعلميّ، شبّ مترجمنا، فحفظ القرآن منذ صغر سنّه، وحفظ المتون العلميّة، وتمرّس في اللّغة العربيّة، وتعلّم ما تيسّر من اللّغة الفرنسيّة. إرتحل إلى المشرق العربي وأوروبا، وشارك في عدّة ملتقيات إسلاميّة وكان عضوا مراسلا بالمجمع العلميّ العربي بدمشق (سنة 1955م)، ومجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة (سنة 1956 م).
توفي رحمه الله سنة (1973 م) ودفن بمقبرة الزلاّج بمدينة تونس.
- **منزلته العلميّة:**إلتحق الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور بجامع الزّيتونة فتحصّل على شهادة التّطويع،و سمّي عدلا مبرّزا (سنة 1886 م)،ثمّ مدرّسا

بجامع الزّيتونة والمدرسة الصّادقية من سنة 1900 م إلى سنة 1951 م. وعمل كذلك في حقل القضاء والإفتاء ونال لقب شيخ الإسلام للمذهب المالكي.ثمّ أصبح بعد ذلك عميدا للكليّة الزّيتونية للشّريعة وأصول الدّين بدآية من سنة 1956 م حتّى سنة 1960 م حيث أحيل على الرّاحة.

- **شيوخه:**إكتسب الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور ثقافة إسلاميّة ولغويّة واسعة شملت التّفسير والحديث والقراءات والبيان واللّغة والتّاريخ والمنطق... وقد تخرّج على أيدي ثلّة من العلماء الأجلاّء أشهرهم: الشّيخ محمّد النّجار والشّيخ سالم بوحاجب والشّيخ محمّد النّخلي والشّيخ محمّد بن يوسف والشّيخ عمر بن عاشورو الشّيخ صالح الشّريف وغيرهم...
- **رؤيته الإصلاحيّة وأهمّ إصلاحاته:**ألّف العالم الجليل ابن عاشور كتابه **"أليس الصّبح بقريب"** سنة 1907 م ضمّنه رؤيته الإصلاحيّة، وحدّد فيه أسباب تخلّف العالم الإسلاميّ، وإعتبر أنّ إصلاح الأمّة لا يكون إلاّ بإصلاح مناهج التّربية والتّعليم.لذلك إهتمّ الشّيخ بإصلاح الكتب الدّراسية وأساليب التّدريس في جامع الزّيتونة وفروعه وفي معاهد التّعليم.

و من أهمّ أعماله الإصلاحيّة:

- تطوير التّعليم الزّيتوني ومناهج تدريسه فأصبحت تدرّس فيه سائر العلوم الشّرعيّة واللّغوية والعلميّة.
- تأسيس الجمعيّة الخلدونية لإلقاء المحاضرات.
- المشاركة في الملتقيات الإسلاميّة ومنها مؤتمر المستشرقين المنعقد في إسطنبول في خريف سنة 1951م.
- نشره للعديد من البحوث والدّراسات في المجلات التّونسيّة والشّرقيّة، وتصنيفه لجملة من الكتب القيّمة.

- **كتاباته ومؤلّفاته:**بلغت كتاباته ومؤلفاته إلى الأربعين وهي غاية في الدّقة العلميّة، وتدلّ على تبحّر الشّيخ في شتّى العلوم الشّرعيّة والأدبيّة.

ففي **العلوم الشّرعيّة والنّقلية** ألف شيخ الإسلام ابن عاشور:**"التّحرير والتّنوير"**في التّفسيرو**"مقاصد الشّريعة الإسلاميّة"**و**"أصول النّظام الإجتماعي في الإسلام"**و**"أليس الصّبح بقريب ؟"**و**"الوقف وآثاره في الإسلام"**و**"كشف المغطّى من المعاني" و"الألفاظ الواقعة في الموطّأ"**و**"قصّة المولد"**

و**"حـواشي علـى التّنقيـح لشـهاب الدّين القرافي"**في أصول الفقه و**"ردّ على كتاب الإسلام وأصول الحكم "** لعليّ عبد الرّازق و**"فتاوى ورسائل فقهيّة"** و**"التّوضيح والتّصـحيح"**في أصول الفقه و**"النّظـر الفسـيح عنـد مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح"**و **"تعليق وتحقـيق على شرح حديث أم زرع"**و**"قضايا شرعيّة وأحكام فقهيّة وآراء اجتهادية ومسائل علميّة"**و**"آمال على مختصر خليل"**و**"تعاليق على العلول وحاشية السياكوتي"**و**"آمال على دلائل الإعجاز"**و**"أصول التّقدم في الإسـلام"**و**"مراجعات تتعلّق بكتابي: معجز أحمد واللاّمع للعزيزي"**.

أمّا كتبه في **اللّغـة العربيّة وآدابها** فهي:**"أصـول الإنشـاء والخطابة"** و**"مـوجز البـلاغـة"**و**"شرح قصيدة الأعشى"** و**"تحقـيق ديوان بشّار"** و**"الـواضح في مشكلات المتنبّي"**و**"سرقات المـتنبّي"** و**"شـرح ديوان الحماسة لأبي تمام"**و**"تحـقيق فوائد العقيان للفتح بن خاقان مع شرح ابن زاكور"** و**"تحقـيق مقـدمّة في النّحو لخلف الأحمر"**و**"تـراجم لبعض الأعلام"**و**"تحـقيق كتاب الإقتضاب" للبطليوسي مع " شرح كتاب أدب الكاتب "**و**"شـرح معلّقة إمرئ القيس"**...

- **تفسيره:**تفسيره **"التّحرير والتّنوير"** هو مختصر من اسمه الأصليّ **"تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"** وهو من أشهر التّفاسير المعاصرة.

في هذا التّفسير المتميّز دافـع **الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور** عـن مقـاصدالإسـلام ومعـانيه وشرائعه ومبانيه...كذلك حارب الشّرك وأشكاله والكفر وضروبه، وعـظّم الله وأوامره وحـذّر من نـواهيه ومحرّماته، ورغّـب في السّنة وحثّ على التّمـسك بهـا وردّ على المـبتدعة والزّنادقة وأعداء الدّين.

لقد جمع الشّيخ**الإمام ابن عاشور** في تفسيره **"التّحرير والتّنوير"** بين العلوم الشّرعيّة والنّقلية والعلوم العقليّة واللّغويّة والعصريّة...كتبه بأسلوب علميّ دقيق ولغة متينة وفصيحة.

وبذلك صار تفسيره الضّخم الّذي إشتمل على أكثر من ثلاثين مجلد مقصد العلماء وملاذ الأدباء ومنارة المتعلّمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ورحم الله الشّيخ الجليل محمّد الطّاهر بن عاشور رحمة واسعة.

المبحث الخامس

مسائل أخرى تتعلّق بالقرآن المجيد

1-تمهيد

2-الأمثال في القرآن المجيد

أ- تعريف المثل لغة واصطلاحا

ب-أنواع الأمثال في القرآن

ت-فوائد ضرب الأمثال

3-الأقسام (أي الأيمان) في القرآن الكريم

أ- تعريف القسم لغة وإصطلاحا

ب-صيغ القسم

ت-قسم الله بذاته القدسيّة وبمخلوقاته

ث-أنواع القسم

ج- حكم القسم وفوائده

4-الجدل في القرآن المجيد

أ- تعريف الجدل لغة واصطلاحا

ب-طريقة القرآن في الجدل والجدال

ت-أنواع من المناظرات القرآنيّة للإستفادة منها

5-القصص في القرآن الكريم

أ- تعريف القصّة لغة واصطلاحا

ب-القصص القرآني حقيقيّ وليس خياليّا

ت-أنواع القصص القرآني

ث-فوائد القصص القرآني

6-ترجمة معاني القرآن الكريم

أ- تعريف التّرجمة لغة واصطلاحا

ب-الحاجة إلى ترجمة معاني القرآن

ت-أنواع ترجمة القرآن المجيد

خاتمة الكتاب: صفوة القول

- هذا هو القرآن المجيد
- وهذه هي علومه القرآنيّة

المبحث الخامس

مسائل أخرى تتعلّق بالقرآن المجيد

1- تمـــهيـد

القرآن الكريم هو كتاب هداية ونصح وإرشاد لإسعاد النّاس كافّة، أنزله الله سبحانه على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم عن طريق جبريل ملك الوحي عليه السّلام.

و لبلوغ هذه المقاصد الشّريفة والغايات النّبيلة، فإنّ القرآن المجيد توخّى أساليب شتّى كضرب الأمثال، واستعمال الأقسام (أي الأيمان) وإقامة الحجج والبراهين والأدلّة وذكر قصص الأنبياء والأمم.

و فـي هذا المبحث سنـتناول بالدّرس والتّمـحيص هـذه الـمواضيع والمسائل، للـتّدليل مـــرّة أخــرى على أنّ كتـــاب الله معجز في معناه ولفظـــه وأسلـوبه، وهـــو حقّـا كـــلام ربّ العالمين"**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**"[1].

2- الأمثال في القرآن المجيد

أ- تعريف المثل لغة وإصطلاحا:

- **لغـــــة:**مثَلَ – يُمثّلُ – تَمثيلاً أي شبّه وصوّر.يقال: مثّل الشّيء بالشّيء أي شبّهه وصوّره.

و الأمثال جمع مثلٌ ومِثلٍ ومثيلٌ كشبهٍ وشِبهٍ وشَبيهٍ.

- **إصطـــلاحا:**المثل هو قولٌ محكَى وسائر يُقصد به تشبيه حال الّذي حُكي فيه بحال الّذي قيل من أجله.و يطلق المثل كذلك على الحال والقصّة عجيبة الشّأن.

و يمكن تعريف المثل أيـضا بأنّه إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة، لها وقعها في النّفس، سواء أكانت تشبيها أو قولا مرسلا.

---

1 سورة النساء : 122

وقــد أشــار المفسّر**الزّمخشري** إلى هذه المعاني في تفسيره **"الكشّاف"** فقــال:" **المثل في أصل كلامهم بمعنى المِثل والنّظير ثمّ قيل: القول السّائر الممثّل مضربه بمورده.و يستعار المثل للحال أو الصّفة أو القصّة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ".**

ب- أنــواع الأمثال في القرآن:

ذكر الله في كتابه العزيز في كثير من الآيات أنّه يضرب الأمثال للنّاس للتّفكر والتّدبّر للإعتبار.

كقوله تعالى:" **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"**[1]. وقوله سبحانه:**" وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ "**[2].

و قوله جلّ ذكره:" **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"**[3].

و عن عليّ رضي الله عنه أنّ رسول الله قال:" **إنّ الله أنزل القرآن آمرا وزاجرا وسنّة خالية، ومثلاً مضروبا."**[4].

و الأمثال في القرآن الكريم ثلاثة أنواع:

❖ **النّوع الأوّل: الأمثال المصرّحة**

وهي ما صُرّح فيها بلفظ المثل أو ما يدلّ على التّشبيه.

كقوله تعالى في **حقّ المنافقين:" مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (17)صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19)يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ**

---

1 سورة الحشر: 21
2 سورة العنكبوت :43
3 سورة الزمر :27
4 رواه التّرمذي

وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)"[1].

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين:

- **مثـــلا نـــاريّا** فهم بمنزلة من إســـتوقد نارا للإضاءة والنّفـــع حيث إنتفعوا مادّيا بالدّخول في الإسلام، ولكن لم يكن له أثر نوريّ في قلوبهم.
- **مثـــلا مـــائيّا** فقد شبّههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه ووضع إصبعيه في أذنيه وأغمض عينيه خوفا مـــن صـــاعقة تصـــيبه لأنّ القرآن نزل علـــيهم بأوامره ونواهيه نزول الصّواعق.

❖ **النّوع الثّاني: الأمثال الكامنة**

وهي الّتي يُصَرّحُ فيها بلفظ التّمثيل ولكنّها تدلّ على معان رائعة في إيجاز.

و من أمثلتها: في معنى **" خير الأمور أوسطها "**.قوله تعالى في **"البقـــرة"**: **"قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ"**[2]. وقوله تعالى في **"الإنفـــاق"**: **"وَلَا تَجْعَـــلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْـــطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا"**[3]. وقوله سبحانه في **"الصّـــلاة"**:**" وَلَا تَجْـــهَرْ بِصَـــلَاتِكَ وَلَا تُخَـــافِتْ بِهَـــا وَابْتَـــغِ بَيْـــنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا"**[4].

❖ **النّوع الثّالث: الأمثال المرسلة**

وهي جمل أُرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التّشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال.

---

1 سورة البقرة :17-20
2 سورة البقرة :68
3 سورة الإسراء :29
4 سورة الإسراء:110

و من ذلك قوله تعالى:" **أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**"[1]. وقوله سبحانه:**" قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا**"[2]. وقوله تعالى:" **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**"[3].

ت- فوائد ضرب الأمثال:

الأمثال أوقع في النّفس من الكلام العاديّ، وأبلغ في الوعظ،و أقوى في الزّجر وأقوم في الإقناع وفي ضرب الأمثال فوائد حاصلة للنّاس منها:

- **إبراز المعقول في صورة المحسوس**الذي يلمسه النّاس كما ضرب الله مثلا لحال المُنفق رياءفقال سبحانه:"**مَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**"[4].
- **تعريض الغائب في معرض الحاضر** كقوله تعالى:"**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ**"[5].
- **ضرب المثل للتّرغيب** كما ضرب الله مثلا لحال المنفق في سبيل الله فقال سبحانه:" **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**"[6].
- **ضرب المثل للتّنكير** كقوله تعالى في النّهي عن الغيبة:" **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** "[7].

---

1 سورة هود: 81
2 سورة الإسراء : 84
3 سورة الحشر : 14
4 سورة البقرة :264
5سورة البقرة : 275
6 سورة البقرة :261
7 سورة الحجرات: 12

- **ضرب المثل للمدح** كقوله تعالى في مدح الصّحابة:" **ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** "[1].
- **ضرب المثل لاستقباح الأمر** كضرب الله مثل حال من آتاه الله كتابه فتَنكّب عنه ولم يعمل بأحكامه في قوله:" **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** "[2].

ملاحظة: من يرغب في الإستزادة من هذا البحث المتعلّق بأمثال القرآن فليطالع كتاب"**أمثال القرآن" لشمس الدّين محمّد بن أبي بكر الدّمشقيّ** المعروف **بإبن قيّم الجوزيّة** (المتوفّى سنة 751 للهجرة)، فقد أفاض القول في أكثر من عشرين مثل وردت في القرآن المجيد.

3- الأقسام (أي الأيمان) في القرآن الكريم

أ- تعريف القسم لغة وإصطلاحا:

- **لغة:** أقْسَمَ – يُقْسِمُ – إقْسَامًا أي حَلَفَ.يقال أقسم بالله بمعنى حلف به. والأقسامُ جمع قَسَمٌ وهو الحَلَفُ أو اليَمينُ أو الإبْلاءُ بمعنى واحد.
- **إصطلاحا:** القَسَمُ هو تحقيق الأمر أو توكيده بذكر إسم الله تعالى أو صفة من صفاته أو هو عَقْدٌ يُقَوّي به الحَالِفُ عزمه على الفعل أو التّرك.

ب- صيغُ القَسم:

الصّيغة الأصليّة للقَسم أو الحَلف أن يؤتى بالفعل **"أقسِمُ"** أو **"أحلِفُ"** متعدّيا بحرف الباء كأن تقول أُقسمُ بالله أو أحلفُ بالله.

و لمّا كان القَسمُ يكثُرُ في الكلام فقد أُختُصرَ فصار فعل القَسمِ يحذفُ ويُكتفَى:

---

1 سورة الفتح : 29
2 سورة الأعراف : 176

- بـــالبـــاء كقوله تعالى: **" وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "**[1].
- أو بـــالواو كقوله سبحانه:" **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (2)وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (4)**"[2] .
- أو بـــالتّاء كقوله:" **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**"[3].

ت- قسمُ الله بذاته القدسيّة وبمخلوقاته:

أقسم الله في كتابه العزيز بذاته العليا في سبع مواضع منها قوله تعالى:" **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**"[4].

و منها قوله تعالى:" **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**"[5].

و منها قوله تعالى الّذي أمر فيه نبيّه أن يقسم به:" **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا "**[6].

أمّا أغلب القسم في القرآن فيكون بمخلوقات الله سبحانه.كقوله تعالى: " **وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (4) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (6) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (7)**"[7].

---

1 سورة النحل: 38
2 سورة الليل: 1-4
3 سورة الأنبياء : 357
4 سورة التغابن: 7
5 سورة سبأ: 3
6 سورة النساء : 65
7 سورة المرسلات : 1-7

و كقوله سبحانه:" **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6)وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ(7)**"[1].

و كقوله تعالى:" **وَالْفَجْرِ (1) وَلَيالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (5)**"[2].

و كقوله تعالى:" **والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)** "[3].

و للّه سبحانه أن يحلف بما شاء، فهو العظيم ويحلف بمخلوقاته العظيمة.أمّا **حلفُ العباد** فلا يكون إلاّ بذكر إسم الله أو بقيّة أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته الفضلى، ويحرم القسم بغير ذلك.

فعن **ابن عمر رضي الله عنه** أنّ النّبي أدرك عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في ركب وهو يحلف بأبيه فناداهم الرّسول وقـــال:" **ألا إنّ الله عزّ وجلّ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلفْ بالله أو ليصمتْ**" قـــال عمر:**ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله نهى عنها ذاكرا ولا آثرا** ". (أي من قبل نفسه ولا حاكيا عن غيره)[4].

وقـــال الحـــسن بن عـــليّ رضي الله عـــنه:"**إنّ الله يُقسم بما شاء من خَلقهِ وليس لأحد أن يُقسم إلاّ بالله**"[5].

ث- أنواع القَسم:

القَسَمُ نوعان:

- **النّوع الأوّل: القسم الظّاهر**

---

1 سورة البروج : 1-7
2 سورة الفجر: 1-5
3 سورة التين: 1-4
4 رواه الشيخان
5أخرجه ابن أبي حاتم

وهو ما صُرّح فيه بفعل القَسم، وصُرّح فيه بالمُقسم به، ومنه ما حذف فيه فعل القسم وأكتفي بالواو أو الباء أو التّاء.كقوله تعالى: **" وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (4)"**[1].

و قوله تعالى:**" لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ(4) "**[2].

في هذه الآيات أدخلت **لاالنّافية** على فعل القَسم.فقيل:**"لا"** في الموضعين نافية لمحذوف يناسب المقام والتّقدير مثلا:**" لا صحّة لما يزعمون أنّه لا حساب ولا عقاب"**ثمّ استأنف فقال:**"أقسم بيوم القيامةو أقسم بالنّفس اللّوّامة أنّكم ستُبعثون "**. وقيل:**"لا"** زائدة وجواب القسم في الآية المذكورة محذوف دلّ عليه قوله تعالى في آخر السّورة: **" أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى"**[3].

❖ **النّوع الثّاني: القسَمُ المُضمَرُ**

وهو ما لم يُصرّح فيه بفعل القسم ولا بالمُقسم به وإنّما تدلّ عليه اللام المؤكّدة الّتي تدخل على جواب القَسَم.كقوله سبحانه:**" لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ"**[4].أيْ والله لتُبلوُنّ...و الله لتَسمعُنّ...

ج- حكم القسم وفوائده:

القسَمُ في الخطاب من أساليب التّأكيد الّتي يتخلّلها البرهان المُفحم والإستدراج بالخصم إلى الإعتراف بما يُنكر ويَجحدُ.و قد أستعملَ هذا الأسلوب في

---

1 سورة الضحى:1-4
2 سورة القيامة : 1-4
3 سورة القيامة :36
4 سورة آل عمران : 186

القـرآن حيـث يقـسم الله في كثير من آياته وذلك لحِكم وفوائد عدّة ينتفع بها النّاس ومنها:

- إقسام الله تعالى بذاته القدسيّة تأكيدا على وحدانيّته سبحانه فهو المتفرّد بذاته العليا وأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى وأفعاله العظمى.كقوله تعالى:" **وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**".[1]
- إقـسـام الله سبحانه بالمـلائكة لبـيـان أنّهـم عبـاد الله خـاضعون لـه وليـسوا بآلهـة يُعبدون.كقوله سبحـانه:"**والنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا(3)فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4)فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7)** "[2].
- إقـسـام الله بالقرآن لبيان أنّه كلام ربّ العالمين حقّا وبه كلّ السّعادة في الدّنيا والآخرة.كقوله تعالى:" **ق(1) وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ(2)**"[3].
- إقـسـام الله بنبيّه الكريم للتّأكيد على أنّ الرّسول حقّ.كقوله سبحانه:" **يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(3)** "[4].
- إقـسـام الله ببعض مخلوقاته كالرّياح للتّأكيد على أنّ الجـزاء والـوعد والـوعيد حقّ.كقوله تعالى:" **وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2)فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ(5)** "[5].
- إقـسـام الله بمخلوقات أخرى كالشّمس والقمر لما فيه من منافع كقوله سبحانه:" **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ**

---

1 سورة يونس :53
2 سورة النازعات : 1-7
3 سورة ق: 1-2
4 سورة يس : 1-3
5 سورة الذاريات : 1-55

إِذَا جَلاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7) "[1].

ملاحظة:تناول هذا الموضوع **"أقسام القرآن"** بالبحث العلامة **ابن قيّم الجوزيّة** في كتابه **"التّبيان"** والرّجوع إليه يزيدنا إخلاصا صادقا وعلما نافعا.

4- الجدل في القرآن المجيد

أ- تعريف الجدل لغة واصطلاحا:

- **لغة:** جَادَلَ – يُجَادِلُ – جَدَلاً ومُجَادَلَة أي ناقش وخاصم.يقال جَادَلَهُ فجدَلَهُ بمعنى ناقشه فأقام عليه الحجّة الدّامغة.
- **إصطلاحا:** الجَدَلُ أو الجِدَالُ هو المفاوضة والمحاورة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم أو هو المناظرة لإظهار الحقّ وإقامة البرهان على صحّته.

ب- طريقة القرآن في الجدل والجدال:

ذكر الله في كتابه العزيز أنّ الإنسان بطبعه يجادل لمغالبة الآخر.قال جلّ ذكره:**" وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا "**[2].

و قد أمر الله تعالى نبيّه الكريم بمجادلة المشركين بالّتي هي أحسن في قوله تعالى:**"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "**[3].

---

1 سورة الشمس: 1-7
2 سورة الكهف : 54
3 سورة النحل : 125

كذلك أباح الله مناظرة أهل الكتاب بالحسنى في قوله تعالى:" **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**"[1].

هـذا هو أسلـوب القرآن الكريم الّذي سلــكه لهـداية الجاحدين وإلزام المعاندين بالحقّ والخير والعدل.لقد أقام القرآن الأدلّة السّاطعة والبــراهين القويّة وحاجّ بها خصومه بأسلوب واضح يفهمه الخاصّ والعامّ وأبطل كلّ شبهة فاسدة ونقضها بالمعارضة بطريقة جليّة.

قال الله سبحانه للتّدليل على وجوده وعظمته:" **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**"[2].

وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ القرآن لم يتّبع في الجدال طريقة المتكلّمين والفلاسفة وأهل المنطق الّتي تعتمد على تحديد المقدّمات، وإستقراء النّتائج على ضوئها.

قــال **الزّركشي** في كتابه **"البرهان في علوم القرآن":"إعلم أنّ القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلّة، وما بين برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كلّيات المعلومات العقليّة والسّمعية إلاّ وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده الله على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلّمين "**[3].

ت- أنواع من المناظرات القرآنيّة للإستفادة منها:

ذكــر الله سبحــانه فــي كــتابه الــعزيز أنــواعا عدّة من المنــاظرات للــذّكرى والإعتبار والتّأمل نــذكر منها:

1سورة العنكبوت : 46
2 سورة البقرة : 164
3 البرهان للزركشي : ج 2 ص24

❖ **النّوع الأوّل:**ذكر الآيات الكونيّة المقرونة بالنّظر والتّدبّر للإستدلال على أصول العقائد كتوحيده سبحانه والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشرّه.ومنه قوله تعالى:**"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(22) "**[1].

❖ **النّوع الثّاني:**ما يرُدّ به الله على الخُصوم ويُلزم أهل العناد كالإستدلال بالخلق على وجود الخالق مثل قوله سبحانه: **" أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (37) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ(39)أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (40) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (41) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (42) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (43) "**[2].

و كالإستدلال بالمبدأ على المَعاد.مثل قوله تعالى:**" وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4) فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ(8) "**[3].

❖ **النّوع الثّالث:**إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها.مثل قوله تعالى:**" قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ**

---

1 سورة البقرة : 21-22
2 سورة الطور : 35-43
3 سورة الطارق : 1-8

قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ "[1].

❖ **النّوع الرّابع:** إفحـــام الخصـــم وإلزامه ببيان أنّ مُدّعـــاه يلزمه القـــول بما لا يعترف به أحد.مثل قوله سبحانه:" **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ "**[2].

5- القصص في القرآن الكريم

أ- تعريف القصّة لغة واصطلاحا:

- **لغـــــة:** قَصَّ – يَقُصُّ –قَصًّا أي تتبّع الأثر أو حكى وأخبر وروى.يقال قصّ الشّيء أي تتبّع أثره.و قصّ القصّة أي حكاها ورواها. والقِصَصُ أو القَصَصُ جمع قصّة وهي الحكاية أو الرّواية أو الشّأن أو الحال وتصغيرها أقصوصة.
- **إصطـــــلاحا:** القصّة هي حكاية نثريّة طويلة تستمدّ من الخيال أو الواقع أو منهما معا وتبنى على قواعد معيّنة من الفنّ الكتابي – هذا تعريف في اللّغة.

أمّـــا القصّة القرآنيّة فهي إخبار عن النبوّات السّابقة وعن أحوال الأمم الماضية، والحوادث الواقعة في زمن رسول الله.

ب- القصص القرآني حقيقيّ وليس خياليّا:

القرآن المجيد هو تنزيل من عليم حكيم – وهو الله – ولا يرد في قصصه إلاّ ما يكون حقيقيّا موافقا للواقع، ولا يمتّ بالخيال بآية صلة من الصّلات فهو قصص حقّ لأنّ الغاية من القصص القرآني هي الإعتبار والإرشاد إلى الهدى والتّقى وليس للتّسلية والتّرفيه عن النّفس.

قال سبحانه:" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسول بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**"[3].

---

1 سورة الأنعام : 91
2 سورة الأنعام : 100
3 سورة النساء : 170

و قال الحقّ تبارك:" **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** "[1].و قال جلّ وعلا:" **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** "[2].

ت- أنواع القصص القرآني:

القصص في القرآن الكريم ثلاثة أنواع:

- **النّوع الأوّل:قصص الأنبياء والرّسل:** الأنبياء والرّسل جمّ غفير، وما من أمّة إلاّ بعث الله فيها نبيّا أو رسولا.

قال سبحانه:" **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ**"[3].هؤلاء الرّسل منهم من قصّ الله علينا قصصهم وذكرهم بأسمائهم وعددهم خمسةوعشرون.

قال تعالى:" **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86)** "[4].

ومنهم من لم يقصصه علينا.قال سبحانه:" **وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** "[5].

وقد تضمّن قصص الأنبياء الّذين ذكرهم الله في كتابه دعوتهم إلى أقوامهم ومعجزاتهم الّتي أيّدهم الله بها ومواقفهم من المعاندين.

---

1 سورة أل عمران : 62
2 سورة يوسف 111
3 سورة فاطر: 24
4 سورة الأنعام : 83-86
5 سورة النساء :164

و مـن قصص هــؤلاء:**آدم ونــوح وإدريــس وإبراهيــم ومــوسى وهـارون وسليــمان وإلياس وأيوب وعيسى ومحمّد...** عليهم جميعا أفضل الصّلاة والسّلام.قال جلّ ذكره:" **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا**"[1].

❖ **النّوع الثّاني:قصَصُ الأمم الماضية:** إلى جانب قصص الأنبياء والرّسل فإنّ الله تعالى ذكر لنا كثيرا من قصص الأمم الغابرة للإعتبار والتّدبّر.

و من قصص هذا النّوع:**قصّة ابـنيْ آدم، وطالوت وجـالوت وأهل الكــهف وذي الـقرنين وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل وقصّة مريم...**

قال جلّ ذكره:" **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا(17)**"[2].

❖ **النّوع الثّالث:الحوادث الواقعة زمن رسول الله:**من هذه الحوادث الّتي وقعت في عهد النّبي الكريم محمّد نذكر:

- غزوة بدر الكبرى وغزوة أحد المذكورتين في سورة آل عمران.
- غزوة حنين وتبوك المذكورتين في سورة التّوبة.
- غزوة الأحزاب (غزوة الخندق) الواردة في سورة الأحزاب.
- قصص الهجرة والإسراء وفتح مكّة...

قــال تبارك وتعالى: " **إِنَّــا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَــا تَــقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَــيْكَ وَيَــهْدِيَكَ صِــرَاطًا مُسْــتَقِيمًا (2) وَيَنْــصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا(3)** "[3].

ث-فوائد القصص القرآني:

للقصص في القرآن المجيد فوائد جمّة نعدّد بعضها إجمالا:

1سورة النساء :163
2 سورة مريم : 16-17
3 سورة الفتح: 1-3

- **الفائدة الأولى: توجيه العواطف القويّة الصّادقة إلى الغيبيّات الأساسيّة الّتي تنبني عليها العقيدةالإسلاميّة وهي:**الإيمان بالله وحده والإعتقاد في الملائكة والرّسل والكتب السّماوية المنزّلة، وفي البعث والحساب والجنّة والنّار وكلّ ما يتعلّق باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه. قال جلّ وعلا:" **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**".[1]
- **الفائدة الثّانية:إثبات الوحي والرّسالة المحمّدية:** القرآن هو رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمّدالذي بعثه الله رحمة للعالمين.قال سبحانه:" **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**"[2].
- **الفائدة الثّالثة:وحدة الرّسالات في العقيدة والأخلاق:** في القصص القرآني بيان أنّ الدّين كلّه من آدم عليه السّلام إلى محمّد له مصدر واحد هو الله سبحانه، وأنّ كافّة الرّسالات السّماوية جاءت وأمرت بالعقيدة السّليمة – عقيدة التّوحيد – وحثّت جميعها على الأخلاق الفاضلة.قال جلّ جلاله:" **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** "[3].
- **الفائدة الرّابعة:نصرة الله لأنبيائه وهلاك المكذّبين:**النّاس صنفان منذ بدء الخليقة، صنف أعرض عن الحقّ والهدى تكبّرا فكان مصيره الهلاك والخسران، وصنف ثان آمن بدعوات الرّسل ولم يفرّق بين أحد منهم فكان مصيره الهداية والنّصرة.قال تعالى:" **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ**".[4]

---

1 سورة الأنبياء : 25
2 سورة الأحزاب :40
3 سورة النحل : 36
4 سورة سبأ: 4-5

- **الفائدة الخامسة: دعوة النّاس إلى النّظر والتّدبّر في الآفاق وفي الأنفس:** إنّ القصـــص القرآني ينــشئ في كل فـرد همّة السّعي إلى معرفة تاريخ الأمم السّابقة وطرق عيشهم.قال جلّ ذكره:" **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**"[1].
- **الفائدة السّادسة:تميّز القصص القرآني عن القصص الإنساني شكلا ومضمونا:**إنّ القصّة القرآنيّة خضعت في مضمونها إلى مقاصد دينيّة ووفّت بها تمام الوفاء، ولكن ذلك لم يمنع بروز خصائصها الفنّية في عرضها بأسلوب رائع وبيان معجز.قال الله تعالى:" **حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(3)** "[2].

و يقول **سيّد قطب** في كتابه " **التّصوير الفنّي في القرآن** ":" **إنّ خضوع القصّةالقرآنيّة للغرض الدّيني ووفاءها بهذا الغرض لم يمنع بروز الخصائص الفنّية في عرضها من تناسق واتّساق من نظم فصيح إلى سرد عذب إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل، إلى لفظ معبّر،إلى تعبير مصوّر، إلى تخييل مجسّم، إلى موسيقى منغّمة، إلى اتّساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار، إلى توافق في الموسيقى، إلى تفنّن في الإخراج** ".

خلاصة الكلام، للقصص القرآني مقاصد نبيلة وفوائد جمّة ذكرنا بعضها، ولقـــد تعرّض إليها بالبيـــان والتّفصيل العلاّمة **الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور** في المـقدّمة السّابعة من تفسيره " **التّحرير والتّنوير**" وذكر أنّ للقصص القرآني عشر فوائد امتاز بها عن القصص الإنساني.

و شتّان بين كلام ربّ العباد وكلام العباد في الشّكل والمضمون.

1 سورة فصّلت: 53
2 سورة الزّخرف : 3

6- ترجمة معاني القرآن الكريم

أ- تعريف التّرجمة لغة واصطلاحا:

- **لغـــة:** تَرجَم – يُتَرْجِمُ – تَرْجَمَةً أي بيّن ووضّح ونقل الكلام.يُقال تـرجم الكلام عنه أي نقلـه من لغة إلى أخرى فهو مُتَرْجِمٌ وتُرْجُمَانٌ.و يُقـال ترجم لفلان بمـعنى ذكر ترجمته وسيرته وحياته.
- **اصطـــلاحا:** التّرجمة هي بيان وتوضيح ونقل الكلام من لغة إلى أخرى.

أمّا ترجمة القرآن فالمقصود بها نَقْلُ القرآن إلى لغات أجنبيّة أخرى ليُفهم مراد الله من كتابه العزيز لغير العارف باللّغة العربيّة.

ب- الحاجة إلى ترجمة معاني القرآن:

لم تكن الحاجة ماسّة إلى ترجمة معاني القرآن في العصور الأولى من نزول القرآن الكريم لأنّه نزل بلسان عربيّ مبين في جزيرة العرب.قال تعالى:" **إِنّا أَنزَلنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعقِلونَ**"[1].

و لمّـــا توسّع الفتح الإسلامي،إعتنـــقت الإســـلام أمـــم أعجميّة لا تحـــذق العربيّـــة كـــالفرس والرّوم وبذلك أصبحت الضّرورة متأكّدة وملحّة لترجمة معاني القرآن وخاصّة في عصرنا الحاضر الّذي تعدّدت وتنوّعت فيه الألسنة واللّغات.

ت- أنواع ترجمة معاني القرآن المجيد:

ترجمة معاني القرآن نوعان:

- **النّوع الأوّل: التّرجمة الحرفيّة:**وهي أن يترجم القرآن بألفاظه ومفرداته وتركيبته وآياته ترجمة طبق الأصل، إلى لغة من اللّغات الأعجميّة كالإنقليزيّة أو الفرنسيّة أو الصّينيّة أو الألمانيّة.ولم يُجوّز أغلب العلماء هذا النّوع من التّرجمة للأسباب التّالية:
  - **أوّلا:** أنّه لا يجوز كتابة القرآن بغير أحرف اللّغة العربية لئلاّ يقع التّحريف والتّبديل.

---

1 سورة يوسف: 2

- **ثانيا:** إنّ اللّغات – غير العربيّة – ليس فيها من الألفاظ والمفردات والضّمائر ما يقوم مقام الألفاظ العربيّة.
- **ثالثا:** إنّ الإقتصار على الألفاظ قد يفسد المعنى ويسبّب الخلل في التّعبير والنّظم.

و من أمثلة هذا النّوع من التّرجمة:

- **المثال الأوّل:** قوله تعالى: **" وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"**[1]. فإنّ هذا اللّفظ لا يمكن ترجمته ترجمة حرفيّة لوجود نوع خاصّ من التّعبير البليغ ويسمّى بالإستعارة المكنيّة.
- **المثال الثّاني:** قوله سبحانه:**" وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا"**[2].فإذا ترجمنا هذه الآية الكريمة ترجمة حرفيّة فسد المعنى الّذي تقصده الآية.
- **المثال الثّالث:**قوله تعالى:**"قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظمُ مِنّي وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبًا وَلَم أَكُن بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا"**[3].فلو ترجمنا هذه الآية ترجمة حرفيّة لاختلّ المعنى المراد منها.

❖ **النّوع الثّاني: التّرجمة التّفسيرية أو التّرجمة المعنويّة:**وهي أن تترجم معاني الآيات الكريمة بحيث لا يتقيّد في التّرجمة بالمفردات والتّراكيب، بل يكون الأصل فيـــها الوصول إلى معاني ومقاصد الآيات.

وهذا النّوع من التّرجمة قد جوّزه كثير من العلماء بشرط أن يُتقيّد بالشّروط المذكورة سابقا.و لا تسمّى هذه التّرجمة قرآنا بل هي عبارة عن **" ترجمة لتفسير القرآن "** أو هي **" ترجمة لمعاني القرآن "** بلغة غيرعربيّة.

و التّرجمة بهذا المعنى قد أجازها العلماء للضّرورة بل إعتبرها بعضهم واجبة على المسلمين ليبلّغوا دعوة الله إلى الأمم الأخرى غير النّاطقة بلغة الضّاد ويحملوا إليهم هداية القرآن عقيدة وشريعة وأخلاقا.

---

1 سورة الإسراء : 24
2 سورة الإسراء : 29
3 سورة مريم : 4

قـــال **الحـــافظ ابن حجر العسقلاّني** في كتابه **"فتح الباري" " فمن دخل الإسلام أو أراد الدّخول فيه، فقرئ عليه القرآن فلم يـفهمه فـــلا بـــأس أن يعرّب لـــه لتعـــريف أحكامه أو لتقوم عليه الحجّة فيدخل فيه "**.

خاتمة الكتاب : صفوة القول

❖ هذا هو القرآن المجيد:

القرآن الكريم هو كتاب الله المجيد الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا تنضب معانيه ولا تنتهي أسراره على مرّ الأزمنة والعصور.

القرآن الكريم هو كلام الله ربّ العالمين أنزل على نبيّه الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم لإخراج النّاس من الظّلمات إلى النّور.

القرآن العظيم بحر لا ساحل له يحتاج إلى من يغوص في أعماقه ليستخرج درره وآلاءه...

القرآن المجيد نور وهدى وشفاء لما في الصّدور.

القرآن الكريم أعظم دستور.

قال جلّ جلاله:" **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**"[1].

يقول العلاّمة **محمّد علي الصّابوني** مبرزا عظمة كتاب الله العزيز:**القرآن الكريم دستور الأمّة، وهداية الخالق، وشريعة الله لأهل الأرض، وهو النّور الرّبّاني، والهدي السّماويّ والتّشريع العامّ الخالد الّذي تكفّل بكلّ ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم ودنياهم.**

ولا عجب فهو كتاب كامل، ونظام شامل يشمل جوانب الحياة بأجمعها في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات وفي السّياسة والحكم وفي السّلم والحرب وفي الشّؤون الإقتصاديّة والعلاقات الدّوليّة...

فهو كتاب جامع أنزله الله تبيانا لكلّ شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، وهو في ذلك كلّه حكيم كلّ الحكمة، لا يعتريه خلل ولا اختلاف، فلاعجب أن كانت السّعادة لا تنال إلاّ بهديه، والتزام ما جاء به، فهو شفاء لما

---

1 سورة الكهف : 109

في الصّدور، وعلاج لمـــا حلّ أو يحلّ بالمجـتمع من شرور." وَنُنَـزِّلُ مِـنَ الْقُرْآنِ مَـا هُوَ شِـفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَـزِيدُ الظَّـالِمِينَ إِلَّا خَسَـارًا"[1]).[2]

❖ وهذه هي علومه القرآنيّة:

أمّا **علوم القرآن** المجيد فهي منارات مضيئة ترسم معالم الطّريق لكلّ مسلم ومـــسلمة يرغب في التّمسك بكتاب الله العزيز للفوز بالسّعادة في الدّارين وذلك بالحـــرص الكامل والعناية التّامة بـــآياته وسوره الكريمة تلاوة وحفظا وتدبّرا وعمـــلا بما جاء فيها مـــن عقـــائد ونظم وتشريعات وأحكام وحكم ومكارم أخلاق...

علوم القرآن هي بمثابة مفاتيح لكنوز ثمينة وذخائر جليلة إحتواها هذا الكتاب المجيد، وبدونها لا يمكن الوصول إلى سبر أغوارها ومحاسنها وجواهرها وأسرارها.

يقول **الدّكتور صبحي الصّالح** مبيّنا أهمّية علوم القرآن وحاثّا على معـــرفتها وإكتـــسابها:**" أمّا العلـــوم القرآنيّة الصّميمة الدّقيقة الّتي دارت حـــول هـــذا الذّكر الحكيم، وخـــدمت أغراضه وغـــايـــاته وعبّرت عن كلّياته وجزئيّاته وصوّرت آفاق فلسفته الرّوحيّة الأصيلة في الكون والحياة والإنسان.**

فقد رأينا أئمّةالإسلام يبذلون في تأصيل أصولها ووضع قواعدها جهدا ضخما، ورأيناهم ينشؤون من أجلها المدارس الفكريّة، ويصنّفون فيها الكتب العلميّة ويقيمون على أسسها المذاهب الفلسفيّة والفقهيّة والرّوحيّة "[3].

و في كلمة موجزة: القرآن المجيد وحي يوحى وتنزيل يتنزّل وهدي ربّاني يلقي على النّبي ذكرا ويأمره أمرا ويرشد النّاس كافّة إلى التّقى والهدى والصّلاح.

---

1 سورة الإسراء : 82
2التّبيان في علوم القرآن للصّابوني ص 61
3مباحث في علوم القرآن لصبحي الصّالح ص 341 و342

قال تبارك وتعالى:" **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ(42)** "[1]. **صدق الله العظيم.**

أرجو أن يحصل الخير العميم والنّفع الكثير للقرّاء الكرام ومن الله التّوفيق – سبحانه –و صلّى الله على سيّدنا محمّدا وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

تمّ بعون الله وحمده بقصيبة المريوني، يوم الثلاثاء 20 جمادى الثانية 1437 هـ الموافق لـ29 مارس 2016 م..

1 سورة فصلت :41-42

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدّراسة

الكتاب: " البيان المفيد في علوم القرآن المجيد "

المؤلّف:محمّد كمال ونّاس – أستاذ العلوم الإسلاميّة خرّيج الجامعة الزّيتونيّة بتونس.

بسم الله أبدأ، حامدا الله سبحانه على نعمائه الّتي لا تحصى، ومصلّيا ومسلّما على نبيّه المصطفى الّذي بعث رحمة للعالمين.

أمّا بعد فإنّ **القرآن المجيد** هو كلام ربّ العالمين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا تنضب معانيه ولا تنتهي أسراره.

وهو المنبع الأوّل لعقيدة إسلاميّة صافية أساسها توحيد الله جلّ ذكره والإعتقاد الجازم في ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخرو في قضائه وقدره خيره وشرّه.

وهو المصدر الأوّل والأساسيّ لشريعة إسلاميّة سمحة، صالحة لكلّ زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، شريعة خالدة تكفل كلّ ما يحتاج إليه النّاس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وعاداتهم وأمصارهم وعصورهم في أمور دينهم ودنياهم.

وهو كذلك النّبع الأصليّ لمكارم الأخلاق وهي أسس البناء الحضاري والتّعايش السّلمي والتّسامح والتّراحم والتّحابب والتّعاون والتّناصح... وغيرها.

فهي قيم إنسانيّة سامية تصبو إليها الشّعوب والأمم بعيدا عن التّعصّب المقيت والتّنطّع البغيض.قال سبحانه:**"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ(42)**[1]

أمّا **العلوم القرآنيّة** فهي من أجلّ وأفضل العلوم الشّرعيّة لأنّها تعتبر منارات مضيئة تنير سبيل الرّشاد والهدى والصّراط المستقيم.

وهي معالم وضّاءة لكلّ المسلمين في كلّ عصر ومصر يرغبون في الفوز بالسّعادة في دنياهم وأخراهم،وهي كذلك مفاتيح لكنوز ثمينة وجواهر مكنونة إحتواها الكتاب المجيد.قال تعالى:**" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا(3) "**[2].

و نظرا لقدسيّة وعظمة القرآن المجيد ولشرف هذه العلوم القرآنيّة وأهمّيتها في حياة الأفراد والجماعات والشّعوب والأمم، رأيت أنّ الحاجة ماسّة إلى تأليف هذا الكتاب الّذي سمّيته:

"البيان المفيد في علوم القرآن المجيد".

1 سورة فصلت :41-42
2 سورة الكهف :1-3

يبحث مضمونه دراسة لكتاب الله العزيز نزولا وجمعا وتدوينا وترتيبا وبيانا لعلومه إجمالا بأسلوب علميّ دقيق ومنهج واضح ولغة سهلة يستفيد منه الخاصّ والعامّ يتماشى مع مقتضيات العصر ويراعي الأفهام على تنوّعها وكثرتها.

وهو خلاصة جامعة لما صنّفه العلماء – قدامى ومحدثون – في هذه العلوم الجليلة الّذين بذلوا جهدا كبيرا يذكر فيشكر فجزاهم الله أحسن الجزاء.

و إنّ القصد من وراء هذه الدّراسة هو الإسهام ولو بجهد متواضع في إرساء ثقافة إسلاميّة واسعة متميّزة، والتّأكيد على أنّ الإسلام، هذا الدّين الحنيف الّذي إرتضاه الله لنا يشمل فيما يشمل عقيدة سليمة وهي عقيدة التّوحيد، وشريعة تصلح لكلّ عصر ومصر،و إجتهاد قادر على إيجاد حلول لمشكلات الحياة المتجدّدة وأوضاعها المتطوّرة.

إنّ من المزايا الأساسيّة لهذا الدّين الرّبّاني الإعتدال والوسطيّة في كلّ الأمور، والتّسامح مع المخالفين، والعدل للنّاس جميعا والتّكافل الإجتماعي الشّامل...

ولعلّي بكتابي هــذا أكون مــن جــملة المســاهمين لإجــلاء هذه المبادئ الإنسانيّة النّبيلة والله من وراء القصد.

لقد إنتهجت في تبويب هذه الدّراسة نهجا واضحا، أرجو أن ينال رضا القرّاء الكرام، إذ قسّمتها إلى محورين أساسيّين تترادف مباحثها ترادفا منطقيّا ومسترسلا:

❖ **المحور الأوّل: القرآن المجيد: خصائصه وتاريخه**

ويشمل خمسة مباحث وهي:

- **المبحث الأوّل:** القرآن الكريم وخصائصه
- **المبحث الثّاني:** ظاهرة الوحي
- **المبحث الثّالث:** تنزيل القرآن الكريم
- **المبحث الرّابع:** أهمّ ميزات القرآن الكريم
- **المبحث الخامس:** لمحة تاريخيّة عن مراحل جمع القرآن

❖ **أمّا المحور الثّاني فهو: علوم القرآن الكريم وتاريخها**

ويشمل بدوره خمسة مباحث وهي:

- **المبحث الأوّل:** لمحة تاريخيّة عن علوم القرآن
- **المبحث الثّاني:** أهمّ علوم القرآن
- **المبحث الثّالث:** علم التّفسير وشروط المفسّر وآدابه
- **المبحث الرّابع:** طبقات المفسّرين وأشهر تفاسيرهم
- **المبحث الخامس:** مسائل أخرى تتعلّق بالقرآن المجيد

في الختام أسأل الله العليّ القدير أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كلّ قارئ ودارس له، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

و السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المؤلّف محمّد كمال وتّاس

السّيرة الذّاتية للمؤلّف

1. بطاقة إرشاديّة:

- **الإسم واللّقب:** محمّد كمال بن عثمان ونّاس.
- **تاريخ الولادة ومكانها:** 22 أوت 1950 بقصيبة المديوني (ولاية المنستير) الجمهورية التّونسيّة.
- متزوّج وأب لبنت وثلاثة أبناء.

2. المستوى التّعليمي:

- زاول تعليمه الإبتدائي بداية من سنة 1956 إلى سنة 1962 بالمدرسة الإبتدائيّة بمسقط رأسه قصيبة المديوني
- إلتحق بالتّعليم الثّانوي من سنة 1963 إلى سنة 1966 بالمعهد الثّانوي بالمنستير.
- واصل تعليمه الثّانوي والتّرشيحي من سنة 1966 إلى سنة 1969 بمدرسة ترشيح المعلّمين بصفاقس وتحصّل على **"ديبلوم الدّروس الثّانوية والتّرشيحيّة"** سنة 1969 (دورة جوان).
- إلتحق في سنة 1969 بالكلّية الزّيتونيّة للشّريعة وأصول الدّين بتونس التّابعة للجامعة التّونسيّة.
- توّج تعليمه العالي سنة 1973 بالحصول على **"الإجازة في أصول الدّين"** (دورة جوان) بملاحظة قريب من الحسن.

3. الحياة المهنيّة:

- عمل بالمدارس الإبتدائيّة كمعلّم من سنة 1969 إلى 1973.

- باشر التّعليم بالمدارس الإعداديّة والثّانوية كأستاذ تعليم ثانوي، إختصاص التّربية والعلوم الإسلامية بداية من 1973 إلى سنة 2005.
- تمّ إلحاقه من سنة 1981 إلى سنة 1985 بالمركز الإسلامي والثّقافي ببروكسال (بلجيكا) كمدرّس للدّين الإسلامي باللّغتين العربيّة والفرنسيّة للجالية الإسلاميّة.
- أحيل على التّقاعد سنة 2005.

4. الحياة الجمعياتيّة:

شارك في الحياة الجمعياتيّة بمدينة قصيبة المديوني بصفة:

- عضو مؤسّس لجمعيّة أحبّاء المكتبة والكتاب من سنة 1978إلى سنة 1980.
- نائب رئيس جمعيّة التّضامن الإجتماعي من سنة 1986 إلى سنة 1988.
- رئيس الجمعيّة القرآنيّة من سنة 1990 إلى سنة 1992.
- مدرّس آفاق تابع لوزارة الشّؤون الدّينيّة بداية من جانفي 2013إلى سنة 2015
- رئيس جمعيّة الدّعوة والإصلاح بداية من مارس 2013 إلى سنة 2016

5. المقالات والمؤلفات

- نشر العديد من المقالات والقصص والقصائد في الصّحف التّونسيّة.
- كتب مؤلفات أبرزها:
  - القرية المهجورة (مسرحية 1976).
  - عقلاء أم مجانين (مجموعة قصصيّة 2005).

- البيان المفيد في علوم القرآن المجيد (دراسة 2013).
- سبيل النّجاة في فقه الزّكاة (رسالة 2013).
- الخلاصة المفيدة في أصول العقيدة (رسالة 2014).
- بلوغ المرام في فقه الصّيام (رسالة 2015).
- تذكرة الأنام بأحكام الجنازة في الإسلام (رسالة 2015).
- إرشاد البريّة إلى المعارف السنيّة (رسالة 2016).

مصادر ومراجع الكتاب

❖ **القرآن المجيد**

❖ **كتب الحديث**

- صحيح البخاري لمحمّد بن إسماعيل البخاري.
- الجامع الصّحيح لمسلم بن الحجّاج القشيري.
- سنن أبي داود والنّسائي وابن ماجه وابن حبّان والدّارقطني وابن خزيمة والبيهقي.
- معجم الطّبراني.

❖ **كتب التّفسير**

- جامع البيان في تفسير القرآن لمحمّد بن جرير الطّبري.
- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدّمشقي.
- الكشّاف لمحمود بن عمر الزّمخشري.
- في ظلال القرآن لسيّد قطب.
- التّحرير والتّنوير لمحمّد الطّاهر بن عاشور
- تيسير الكـــريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان لعبد الرحمان السّعدي
- صفوة التّفاسير لمحمّد علي الصّابوني.
- نهج البيان في تفسير القرآن لمحمد المختار السلاّمي.

❖ **كتب في علوم القرآن**

مــن كتــب القـدامى:

- إعجاز القرآن للباقلاّني
- البرهان في علوم القرآن للزّركشي
- الإتقان في علوم القرآن للسّيوطي
- أمثال القرآن لابن قيم الجوزيّة
- نواسخ القرآن لابن الجوزي
- فوائد في مشكل القرآن لعز الدّين بن عبد السّلام
- أسباب النّزول للسّيوطي

مـــن كتـــب المعـــاصرين:

- مناهل العرفان في علوم القرآن للزّرقاني
- مباحث في علوم القرآن لصبحي الصّالح
- مباحث في علوم القرآن لمنّاع القطّان
- التّبيان في علوم القرآن لمحمّد علي الصّابوني
- الظّاهرة القرآنيّة لمالك بن نبيّ
- الوحي المحمّدي لمحمّد رشيد رضا
- نظرات في القرآن لمحمّد الغزالي
- علوم القرآن لأحمد عادل كمال
- تاريخ القرآن لعبد الله الزّنجاني
- الهدى والبيان في أسماء القرآن للبليهي
- الإعجاز والقراءات لفتحي عبد القادر فريد
- النّبأ العظيم بمحمّد عبد الله درّاز

❖ **كتب أخرى في الثّقافةالإسلاميّة:**

- رياض الصّالحين للنّووي
- المقدّمة لعبد الرّحمان بن خلدون
- الإسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت
- فقه السّنة للسّيد سابق
- رسالة التّوحيد لمحمّد عبده
- السّنة ومكانتها في التّشريع الإسلاميّ لمصطفى السّباعي
- شريعةالإسلام ليوسف القرضاوي
- في العقيدة والمنهج للصّادق الغرياني
- بيان أركان الإيمان لعبد الله القصير
- علم أصول الفقه لوفاء خلاّف...

محتـــويات الكتاب

الإهـــداء 6
تقـــــديم 7
مقـــدّمة الكتاب 9

المحور الأول

13

القرآن المجيد: خصائصه وتاريخه

المبحث الأوّل : القرآن الكريـــم وخصائصه 15

1. تمهيد عـــــــــــام 15
2. تعريف القرآن الكريم 18
3. أسماؤه وأوصافه 19
4. أهداف القرآن الكريم وغاياته 20
5. فضائل القرآن الكريم 21
6. الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسيّ والحديث النّبويّ 23

المبحث الثّاني: ظاهرة الوحـي 25

1. إمكانيّة الوحي ووقوعه وحاجة النّاس إليه 26
2. معنى الوحي وحقيقته 28
3. كيفيات وحي الله إلى رسله 28
4. إبتداء نزول الوحي على محمّد صلّى الله عليه وسلّم 29
5. معرفة أوّل ما نزل من القرآن وآخر ما نزل وفوائده 30

المبحث الثّالث: تنزيـل القرآن الكريم 33

1. تمهيد 34

2. تنزّلات القرآن الكريم وكيفيتها 34
3. أسرار وحكم التّنجيم 36
المبحث الرّابع: أهمّ ميزات القرآن الكريم 41
1. تواتر القرآن الكريم وثبوته 42
2. ترتيب آيات القرآن وسوره 43
3. نزول القرآن على سبعة أحرف 44
المبحث الخامس: لمحة تاريخية عن مراحل جمع القرآن الكريم 47
1. تمهيـــــــــــــــد 48
2. جمع القرآن حفظا وكتابة في عهد النّبيء صلّى الله عليه وسلّم 48
3. جمع القرآن في عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه 49
4. جمع القرآن في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه ونشره في الأمصار 50
5. المصاحف العثمانيّة في طور التّجويد والتّحسين 52
المحور الثّاني 55
علوم القرآن الكريم وتاريخها
المبحث الأوّل: لمحــة تــاريخية عن علــوم القرآن الكريم 56
1. التّعريف بعلوم القرآن 57
2. نشأة علوم القرآن وتطوّرها في القرن الأوّل للهجرة 58
3. أشهر المؤلّفين والمؤلّفات في علوم القرآن حسب تعاقبها التّاريخي بدآية من القرن الثّاني للهجرة 59

4. أشهر المؤلّفين والمؤلّفات لعلوم القرآن في العصر الحديث 62

المبحث الثّاني: أهمّ علـوم القرآن الكريم 64

1. تمهيـــــــــــــد 67
2. علم أسباب النّزول 67
3. علم المكيّ والمدنيّ 70
4. علم القراءات 72
5. علم الإعجاز القرآني 76
6. علم النّاسخ والمنسوخ 84
7. علم العامّ والخاصّ 89
8. علم المحكم والمتشابه 91
9. علم الحقيقة والمجاز 95
10. علم المطلق والمقيّد 96
11. علم المنطوق والمفهوم 97
12. للقرآن المجيد علوم أخرى 98

المبحث الثّالث: علم التّفسير وشروط المفسّر وآدابه 100

1. التّعريف بعلم التّفسير 101
2. الفرق بين التّفسير والتّأويل 101
3. نشأة علم التّفسير وتطوّره وعناية العلماء به 102
4. أنواع التّفاسير وأقسامها 103
5. شروط المفسّر وآدابه 111

المبحث الرّابع: طبقات المفسّرين وأشهر تفاسيرهم 113

1. تمهيـــــــــــــد 114
2. مشاهير المفسّرين بالمأثور وأشهر تفاسيرهم 114
3. مشاهير المفسّرين بالرّأي بداية من القرن 5 هـ 116

4. مشاهير المفسّرين حسب الفرق والمذاهب 117
5. أشهر المفسّرين بالإشارة 118
6. مشاهير المفسّرين لآيات الأحكام 118
7. أشهر المفسّرين المعاصرين 119
8. تراجم لبعض مشاهير المفسّرين والتّعريف بتفاسيرهم 120
المبحث الخامس: مسائل أخرى تتعلّق بالقرآن المجيد 129
1. تمهيد 131
2. الأمثال في القرآن المجيد 131
3. الأقسام (أي الأيمان) في القرآن الكريم 135
4. الجدل في القرآن المجيد 140
5. القصص في القرآن الكريم 143
6. ترجمة معاني القرآن الكريم 148
خاتمة الكتاب: صفوة القول 151
ملخّص الدّراسة 154
السّيرة الذّاتيّة للمؤلّف 158
مصادر ومراجع الكتاب 161
محتويات الكتاب 163